محمد نجيب

من قصر عابدين إلى معتقل المرج

الملحق رقم (1)

obeikandl.com

obeikandl.com

تكد تمر بضعة أشهر على قيام الثورة حتى تركزت كل الأضواء على اللواء محمد نجيب باعتباره الرجل الذي قاد الثورة وطرد الملك وأنقذ الشعب المصري من عهد الظلم والطغيان، وأصبح أمل البلاد في تحريرها من الاستعمار البريطاني الجاثم على صدرها منذ سبعين عامًا.

ولم يكن عبد الناصر برتبته الصغيرة وشخصيته المجهولة من معظم أفراد الشعب والجيش بقادر على أن يدخل في منافسة متكافئة مع محمد نجيب بشعبيته الضخمة بين الجماهير ومكانته المرموقة داخل مصر وخارجها ـ خاصة في السودان الشقيق ـ وكانت صوره توضع في أبرز الأمكنة في المنازل والمكاتب، وأحاديثه وخطبه تتصدر الصفحات الأولى من الصحف المصرية والعربية، كما كانت الصحف الأجنبية تتسابق لنشر أحاديثه وصوره، وصدرت بعض المجلات العالمية ذائعة الصيت وعلى أغلفتها صور له بملابسه العسكرية، كانت ملامحه فيها تنطق بالصلابة والقوة.

ولقد ظل محمد نجيب طوال العام الأول للثورة وهو الرمز المجسد لها أمام الشعب المصري، وظلت مكانته شامخة راسخة لا تدانيها مكانة أحد من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة، فقد أصبح يتولى بعد أقل من شهرين من قيام الثورة أخطر ثلاثة مناصب في الدولة وهي: رئاسة مجلس قيادة الثورة ورئاسة مجلس الوزراء والقيادة العامة للقوات المسلحة.

وكان أعضاء مجلس قيادة الثورة بمن فيهم جمال عبد الناصر يتنافسون أمام الجماهير في الإشادة بقيادته الحكيمة ووطنيته الصادقة ومناقبه العظيمة، ويرددون في كل خطبهم وأحاديثهم أن محمد نجيب هو قائد الثورة، وأنهم جنوده الأوفياء المخلصون.

ولم يتخلف عبد الناصر نفسه عن إعلان تأييده وإظهار إعجابه بقائده، ففي خلال رحلة محمد نجيب بالقطار إلى مديريات الصعيد في أواخر مارس 1953 وأثناء زيارته لقرية بني مُرّ

بمديرية أسيوط وقف عبد الناصر وسط أبناء قريته وبين مئات من أهله وعشيرته يقول: "باسم أبناء هذا الإقليم أرحب بك من كل قلبي، وأعلن باسم جميع الفلاحين أننا آمنا بك، فقد حررتنا من الفزع والخوف وآمنا بك مصلحًا لمصر ونذيرًا لأعدائها. سيدي القائد.. باسم الفلاحين أقول سر ونحن معك جنودك فقد حفظنا أول درس لقنتنا إياه، وهو أن تحرير مصر أمر واجب وخروج قوات الاحتلال من بلادنا أمر لابد منه. إننا نستبشر لمصر بعد أن رأينا تعاليمك قد وصلت إلى أقصى الصعيد وأصبحت أملاً في أن تحقق مصر حريتها على يديك، إن مصر كلها تناصرك للقضاء على قوات الاحتلال".

وفي قرية أسطال بمحافظة المنيا وقف الصاغ (الرائد) عبد الحكيم عامر بين جموع أهالي بلدته ليحيي محمد نجيب وكان ضمن ما قاله: "سيدي القائد هذا وطني الأصغر يحييك وها هو ذا بلدي يبايعك، وها هم أولاء رجاله أمامك أقوياء أشداء يعاهدونك على السير معك واثقين بك ومؤمنين. إننا لا نهاب الإنجليز وسنعمل ما وسعتنا الطاقة لتطهير البلاد من دنس الاحتلال.. باسم الشعب أقول إننا معك والله معنا يباركنا، وأرواحنا نقدمها ضريبة الحرية لبلدنا والتحرير لمواطنينا".

وعقب إعلان الجمهورية، وإلغاء الملكية في 18 يونيو 1953 احتفل الشعب المصري في مساء يوم 23 يونيو بميلاد الجمهورية واحتشدت جموع غفيرة من الجماهير في ميدان عابدين الذي أطلق عليه اسم ميدان الجمهورية، ومن شرفة قصر عابدين الذي أطلق عليه القصر الجمهوري ألقى محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر خطابًا حماسيًا على الجموع المحتشدة في الميدان اختتمه بقوله: "في مثل موقفي هذا خاطب أبو بكر الصديق ـ ﷺ ـ المؤمنين بقوله: (أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتم فِيّ استقامة فأعينوني وإذا أسأت فقوموني)".

وأعقبه جمال عبد الناصر فطلب إلى الجماهير المحتشدة الوقوف ليقسموا جميعًا يمين الولاء والمبايعة لرئيس الجمهورية، وردد القسم التالي الذي أخذت الجماهير ترتده وراءه: "اللهم إنا

نشهدك وأنت السميع العليم أننا قد بايعنا اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد الثورة رئيسًا لجمهورية مصر، كما أننا نقسم أن نحمي الجمهورية بكل ما نملك من قوة وعزم وأن نحرر الوطن بأرواحنا وأموالنا وأن يكون شعارنا دائمًا هو الاتحاد والنظام والعمل والله على ما نقول شهيد والله أكبر وتحيا الجمهورية والله أكبر والعزة لمصر " .

وفي يوم 28 أغسطس عام 1984 ترك اللواء محمد نجيب عالم النفاق والحقد والرياء وانتقل إلى عالم الخلود والحق والبقاء . عاش محمد نجيب نحو ثلاثة وثمانين عامًا لم يتخل فيها يومًا عن مبادئه أو شجاعته أو كرامته، ولم يتخاذل خلالها قط عن خدمة وطنه والتضحية في سبيله بروحه ودمائه . ومن عجب أن هذا القائد الباسل الذي كانت شجاعته مضرب الأمثال في ميدان القتال والذي تحمل مسئولية قيادة الثورة في أحلك ساعاتها وأحرج أوقاتها دون خوف أو وجل لم يلق الظلم والاضطهاد والهوان إلا على أيدي إخوانه زملاء السلاح ورفاق الثورة .

لقد ترك محمد نجيب هذه الدنيا الفانية كما دخلها وحيدًا فقيرًا معدمًا، وترك أسرته البائسة تعاني مرارة الفقر والحرمان وشظف العيش رغم أنه شغل من المناصب سواء قبل الثورة أم بعدها ما كان يكفل له ـ لو تخلى عن طهارته وزهده ونظافة يده ـ حياة البذخ والعز والثراء، ولكان ورثته اليوم يرفلون في أثواب الأبهة والترف ويقتنون القصور والضياع والأموال الطائلة والعربات الفارهة . لقد تقبل محمد نجيب المآسي والفواجع التي أصيب بها في حياته تقبل المؤمنين الصابرين الراضين بقضاء الله وقدره، ففضلاً عن ذلك الاعتقال الظالم الذي فرض عليه طوال 18 عامًا في ذلك القصر الريفي الموحش بضاحية المرج دون أي ذنب أو جريمة رحل عنه في حياته كل أبنائه فيما عدا الابن الأصغر، وهم في نضرة الصبا وريعان الشباب، ورغم ما اتصف به محمد نجيب من إيمان راسخ وصبر على قضاء الله فإن الظروف التي أحاطت بوفاة ثاني أبنائه (علي) ومنعه من تشييع جثمانه أدمت نفسه ومزقت فؤاده، وقد عبر عن ذلك في الصفحة 258 من كتابه (كلمتي للتاريخ) فقال : " الطعنة الوحيدة التي مازالت تدمي نفسي هي مصرع ابني (علي) في حادث غامض بألمانيا الاتحادية . . والوفاة قدر لا اعتراض لي عليه .

ولكن أن يحرم الإنسان من استقبال جثمان ابنه في المطار، وأن يحرم من الإعلان عن وفاته أو تشييع جثمانه في جنازة، وأن يمنع من لقائه على باب المدفن وهو يواري التراب فهو أمر يصعب على أن أجد له المناسب من الكلمات" . وقد عاش أبناء محمد نجيب فترة حياتهم القصيرة عيشة الفاقة والبؤس والعوز حتى إن أصغرهم يوسف الذي توفي في عام 1988 عن عمر يناهز 45 عامًا والذي أنجب أربع فتيات اضطر في سبيل كسب عيشه إلى العمل سائقًا على تاكسي أجرة لمدة عشر سنوات، ثم سائقًا على عربات النقل في شركة (المقاولون العرب) حتى حانت منيته، فهل هناك دليل أصدق من هذا البرهان على مدى نزاهة محمد نجيب وطهارته.

إن السؤال الذي يطرحه كل مواطن مصري شريف عاصر عهد محمد نجيب هو: لماذا هذا الإغفال المقصود لاسم محمد نجيب من تاريخ مصر، ومن ذا الذي يتعهد طمس معالم دوره التاريخي في قيادة الثورة؟

هل ذلك الصراع على السلطة الذي نشب بين محمد نجيب وعبد الناصر والذي بلغ ذروته في أزمة مارس 1954 والذي انتهى بانتصار عبد الناصر يكون مبررًا لإسقاط فترة قيادة محمد نجيب للثورة ومحاولة محوها من تاريخ مصر، وهل يجوز تزييف تاريخ مصر بأن يحذف من الكتب المدرسية بأن محمد نجيب كان أول رئيس لجمهورية مصر؟

إن الاحتفال الذي كانت تقيمه الدولة كل عام في ذكرى ثورة 23 يوليو لم يكن يذكر فيه اسم محمد نجيب ضمن أسماء الزعماء المصريين الذين كافحوا وناضلوا ضد الظلم والطغيان والذين ضحوا في سبيل تحرير مصر من الاستعمار. فهل يتفق هذا مع مواقف ذلك القائد الشجاع الذي أعلنت الثورة بقيادته، والذي وجه البيان الأول للثورة إلى الشعب المصري باسمه صباح 23 يوليو 1952 والذي كانت شعبيته الجارفة وسمعته العطرة هما السبب في انضمام جميع وحدات الجيش إلى الثورة وفي أن تلقي من الشعب كل مظاهر التأييد والترحيب؟

إن اللواء محمد نجيب الذي أنعم عليه الملك السابق فاروق برتبة الفريق بدرجة وزير مساء

يوم 24 يوليو بعد تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة علي ماهر، وصدور المرسوم الملكي بتعيينه قائدًا عامًا للقوات المسلحة لم يلبث أن أعلن على الشعب فور مغادرة الملك السابق فاروق للبلاد في الساعة السادسة مساء يوم 26 يوليو 1952 تنازله عن هذه الرتبة ضاربًا أروع الأمثلة في الزهد والتواضع مكتفيًا برتبة اللواء ـ كما ذكر وقتئذ ـ مراعاة لحالة الدولة المالية.

* * * * *

محمد نجيب ينتظر ساعة اعتقاله:

في يوم 29مارس 1954 أصدر مجلس قيادة الثورة قرارًا بإرجاء تنفيذ قرارات 5 و25مارس حتى نهاية فترة الانتقال على أن يشكل فورًا مجلس وطني استشاري يراعي فيه تمثيل الطوائف والهيئات والمناطق المختلفة ويحدد تكوينه واختصاصه بقانون.

ومن العجيب أن هذه القرارات الديمقراطية التي أرجئ تنفيذها حتى نهاية فترة الانتقال لم تر النور في يوم من الأيام، كما أن المجلس الوطني الاستشاري الذي أعلن عنه لم يتكون ولم ينعقد على الإطلاق.

وبصدور قرار مجلس قيادة الثورة في 17 أبريل 1954 بتنحية محمد نجيب عن رئاسة الوزراء وإسناد رئاستها إلى عبد الناصر انتهت في الواقع المرحلة الأخيرة من مراحل الصراع على السلطة بين محمد نجيب وعبد الناصر، وفي الوقت الذي تجمعت فيه كل خيوط السلطة والقوة والنفوذ في يد عبد الناصر اقتصر دور محمد نجيب منذ ذلك التاريخ على منصب شكلي هو رئاسة الجمهورية بلا أية سلطة أو نفوذ وقبع ساكنًا مستكينًا في مكتبه بقصر عابدين انتظارًا لمصيره المحتوم.

وكانت المرة الأخيرة التي رأى فيها محمد نجيب قائد حراسته الخاصة السابق النقيب محمد رياض في شهر أكتوبر 1954، وتمت المقابلة بصورة سرية في منزل أحد أقرباء محمد نجيب بحي الزيتون بعد أن غافل حراسه الذين قال إنهم لم يعينوا لحمايته وإنما لمراقبته.

وفي تلك المقابلة قال له محمد رياض: إن هناك خطة عربية وضعت لتهريبه خارج مصر بعد أن تأكدوا أن مجلس الثورة سوف يعزله من منصبه، وأن هناك خطراً على حياته ولكنه رفض بإصرار ونصح محمد رياض بالبقاء في مصر ليواجه الموقف بشجاعة، لكن محمد رياض رفض وهرب إلى السعودية في اللحظات الأخيرة قبل أن يقبض عليه.

وقد ورد في الفصل الرابع عشر من كتاب محمد نجيب (كنت رئيساً لمصر) الصادر عام 1984 شرحًا وافيًا للمأساة التي تعرض لها حين تم إعفاؤه من منصبه ونقله إلى فيلا السيدة زينب الوكيل بالمرج وننقل أهم ما تضمنه هذا الفصل فيما يلي:

يوم 14 نوفمبر 1954:

"لم يكن هذا اليوم يومًا عاديًا بالنسبة لي.

ففي الصباح، عندما تحركت من بيتي، في شارع سعيد بحلمية الزيتون، متجهًا إلى قصر عابدين، لاحظت تراخيًا من ضباط الحرس الجمهوري والبوليس الحربي.. ولم يؤدوا لي التحية العسكرية.

كنت أشعر أنني أقف وحيداً وسط حصار عبد الناصر ورجاله.

ولذلك أحسست من تراخي البوليس الحربي أن هذا اليوم لن يمر على خير.. ورغم ذلك لم أغير طريقي، واتجهت إلى قصر عابدين.. ولكن.. ما أن نزلت من سيارتي، ودخلت القصر حتى فوجئت بصاغ من البوليس الحربي اسمه حسين عرفة، وكان ضابطًا في الحرس الملكي يوم خروج الملك فاروق، ثم نقل إلى البوليس الحربي لأنه يمت بصلة نسب إلى البكباشى أحمد أنور قائد البوليس الحربي في ذلك الوقت.. فوجئت به ومعه ضابطان وعشرة جنود من البوليس الحربي أيضًا يحيطون بي.. يحاصرونني، وهم يحملون مدافعهم الرشاشة.. ووجدت نفسي أصرخ فيهم:

ابتعدوا.. ابتعدوا عني وإلا جاء الحرس الجمهوري وتحول الموقف إلى مذبحة. وفي

الحقيقة لم أكن متأكداً أن الحرس الجمهوري سيقاتل إلى جانبي، وسيتدخل لحمايتي والدفاع عني، بعد أن عين عبد الحكيم عامر اللواء محمد عبد المنعم صالح كبيراً للياوران، وقام اللواء صالح بتغيير طاقم الحرس، واختار ضباطا تابعين له، وغير مستعدين على تكسير أوامره.. لكني رغم ذلك قلت هذا الكلام.. ويبدو أنهم لم يتوقعوا ذلك مني، فابتعدوا عني فعلاً ودخلت المكتب.

وجاء عبد الحكيم عامر وحسن إبراهيم.. وأبلغني عامر بقرار الإعفاء.. وصحبت حسن إبراهيم إلى فيلا زينب الوكيل.

وقبل أن نصل إلى الفيلا كان قد سبقنا إليها أحمد أنور قائد البوليس الحربي الذي زرع عشرين نقطة قوية من نقاط الحراسة حول الأسوار.. وفوق السطح.. وفي المداخل.. وكان تسليحها قويًّا.. مدافع رشاشة وقنابل يدوية ومدافع صغيرة، وكان أحمد أنور يتصرف في تلك الساعة وكأنه يقود معركة حربية شرسة.

وعندما دخلت حديقة الفيلا جلست على أقرب كرسي، أشعلت البايب ورحت أتأمل ما يجري حولي، وما جرى من قبل في هدوء.. هل كانت لحظات اندهاش؟!.. فعلاً.

هل كانت لحظات ضيق وتوتر وقلق؟!.. أكيد.

هل كانت لحظات مراجعة سريعة لكل ما حدث؟!.. صحيح.

فكل ما حولي كان يدفعني لذلك..

فقد سارع ضباط وجنود البوليس الحربي بقطف ثمار البرتقال واليوسفي من الحديقة.. وحملوا من داخل الفيلا كل ما كان بها من أثاث، وسجاجيد، وستائر، ولوحات وتحف.. وتركوها عارية الأرض والجدران تمامًا.. وحملت سيارتهم المطابخ والثلاجات وحلل الطهي.. وبقى المكان على ما هو عليه إلى الآن. وكما صادروا أشياء لا يملكونها في بيت لا شأن لهم به، صادروا أوراقي، وكتبي، وتحفي، وتذكاراتي، ونياشيني وقلاداتي، وسيوفي ونقودي، وكل شيء يخصني، كان في بيتي.

وكل ما سمحوا به، زوجتي وأولادي، وثلاث حقائب والشغالة.

يا سبحان الله.

ماذا فعلت ليفعلوا بي كل هذا؟!

إنني يوم ودعت الملك الذي انتهك الحرمات، وأحل الفساد محل النقاء، وجلب الخراب والهزيمة على البلاد، لم أفعل ذلك.. على العكس، كنت حريصًا على أن يكون وداعه وداعًا رسميًا، مشمولاً بكل مظاهر التكريم والرعاية والاحترام.. سمحت له بأن يأخذ أشياءه الخاصة والشخصية.. وتركت السفراء والوزراء والحاشية يودعونه. وأمرت أن تطلق المدفعية 21 طلقة، وأن تعزف الموسيقى نوبة مساء والعلم ينزل من على سارية، ليحتفظ به الملك الذي نزل في غاية الوقار إلى اليخت المحروسة.

حافظت على الأصول والتقاليد.

لكن.. لم يحافظ عبد الناصر لا على الأصول ولا على التقاليد، أنا الذي فعلت كل هذا من أجله ومن أجل مصر ومن أجل الثورة.. تعاملوا معي ـ كأنني لص.. أو مجرم.. أو شرير.. لم يتصل بي عبد الناصر.. لم يقل لي كلمة واحدة.. ولم يشرحوا لي ما حدث.. ولم يحترموا سني ولا رتبتي ولا مركزي ولا دوري.. وألقوا بي في النهاية في أيد لا ترحم وقلوب لا تحس، وبشر تتعفف الحيوانات من الانتساب لهم.

ما أقسى المقارنة بيني وبين فاروق عند لحظات النهاية والوداع!

ودعناه بالاحترام وودعوني بالإهانة.. ودعناه بالسلام الملكي والموسيقى.. وودعوني بالصمت والاعتقال.. ودعناه بالمصافحة وودعوني بإعطاء ظهورهم لي.

إن أصعب شيء على المرء أن يكتب أو أن يتحدث عن آلامه الخاصة.. لكن هنا أنا لا أكتب عن قضية خاصة وإنما أكتب عن أسلوب الثورة في التعامل مع رجالها.. وفي التعامل مع الناس الآخرين.. أكتب عن قضية ضرب الحريات وإهدار الحقوق وتحطيم كرامة الإنسان

المصري، فإذا كان هذا حدث معي، وحدث أيضًا مع العديد من رجال الثورة، فما الذي حدث مع الآخرين؟!

لقد قلبت الثورة كل معايير التعامل مع البشر.. الذين قاموا بها طحنتهم، والذين نافقوها رفعتهم.. وتعجبت.

تعجبت أن تترك الثورة الحرية الشخصية للإقطاعيين الذين مصوا دماء الفلاحين، وأن تترك حرية اختيار مكان الإقامة للرأسماليين الذين تحالفوا مع الإنجليز، وأن تفتح ذراعيها للاجئين السياسيين.. وتلقي برئيس جمهوريتها المعزول في منزلٍ عارٍ من الأثاث والرحمة.. خال من سبل الإقامة وسبل الكرامة.

وتقبلت ما حدث لي في صمت وهدوء.. رفضت أن أشكو من المنزل المهجور، والحياة اليومية الصعبة، والحصار اللاإنساني الذي وجدت نفسي فيه، حتى لا تتحول هذه الشكوى إلى دعاية مرضية، رخيصة، على يد وزير الإرشاد الموتور، صلاح سالم.

وتحملت كل هذا في صبر وقوة.. وتحملت زوجتي كل هذا أيضًا.. والأولاد.. وكانت زوجتي تقول لي دائمًا، كلما ضججت مما حولي:

تصور أن حريقًا شب في منزلنا والتهم كل شيء.. العوض على الله.

وقبلت الأمر الواقع وبدأت رحلة التكيف مع الوضع الجديد.. كنت أقضي يومي في ممارسة بعض التمارين الرياضية.. وفي قراءة الصحف.. وفي سماع الإذاعات.. وفي تسجيل ملاحظاتي حول الأحداث التي تجري في البلاد.. وبعد ذلك في تربية القطط والكلاب.. لكني.. ما كنت أرصده وأسمعه وأسجله من أخبار كان لا يسرني.. كان يغم قلبي ويكتم صدري ويشعرني باليأس والألم والضيق. فبعد حادث المنشية بدأت مهزلة اعتقال ومحاكمة الإخوان المسلمين.. بدأت هذه المحاكمات قبل اعتقالي بيوم وانتهت بعد اعتقالي بيوم. ورأسها جمال سالم، وتمت في جو من الإرهاب والضغط، والسخرية بكل شيء..

بالإنسان . . وبالمبدأ . . وبالقيم . . وبكتاب الله أيضًا . . إلى حد أن جمال سالم طلب من بعض أفراد الإخوان المتهمين أمامه أن يقرأوا القرآن بالمقلوب .

كانت مشاعري معهم . . مع الإخوان . . رغم أنهم تخلوا عني وعن الديمقراطية ورفضوا أن يقفوا في وجه عبد الناصر إبان أزمة مارس ، بل إنهم وقفوا معه ، وساندوه ، بعد أن اعتقدوا خطأ أنهم سيصبحون حزب الثورة وأنهم سيضحكون على عبد الناصر ويطوونه تحتهم . . فإذا بعبد الناصر يستغلهم في ضربي وفي ضرب الديمقراطية ، وفي تحقيق شعبية له ، بعد حادث المنشية . . إن الإخوان لم يدركوا حقيقة أولية هي أنه إذا ما خرج الجيش من ثكناته فإنه حتمًا سيطيح بكل القوى السياسية والمدنية ، ليصبح هو القوة الوحيدة في البلد . . وأنه لا يفرق في هذه الحالة بين وفدي وسعدي ، ولا بين إخواني وشيوعي . . وأن كل قوة سياسية مدنية عليها أن تلعب دورًا مع القيادة العسكرية الديكتاتورية ثم يقضي عليها . . لكن . . لا الإخوان عرفوا هذا الدرس ولا غيرهم استوعبه . . ودفع الجميع الثمن .

ودفعته مصر أيضًا . . دفعته من حريتها وكرامتها ودماء أبنائها . . فالسلطة العسكرية أو الديكتاتورية العسكرية لا تطيق تنظيمًا آخر ، ولا كلمة واحدة ، ولا نفسًا ولا حركة ، ولا تتسع الأرض إلا لها ولا أحد غيرها .

وكما قلت من قبل . كان حزني شديداً على عبد القادر عودة الذي صعد درجات المشنقة شجاعًا ، وتذكرت يوم استدعيته قبل ذلك بشهور في شرفة القصر الجمهوري بعابدين ليطل معي على أنصاره في الميدان ، ويطلب منهم الانصراف بهدوء بعد أن قلت لهم إن عودتي هي عودة الحياة للبرلمان وإن المسئولين عن جرحاهم سوف يحاسبون . والتحول من العمل الجماهيري إلى الإرهاب أعطى دلالة بالغة على فقدان الثقة في الشعب وهو ما سقطت فيه قيادات الإخوان المسلمين .

ولم يدفع الإخوان الثمن بمفردهم . . دفعه شباب مصر ، ورجالها ، ودفعه أيضًا أبنائي . .

فالإرهاب يولد إرهابًا . . والدم يفجر الدم . . والقسوة تعشق القسوة . . والديكتاتورية العسكرية لا تحكم إلا بدولة المخابرات . . وكان ثمن البقاء في السلطة دائمًا دماء أبناء مصر ودماء خيرة شبابها . وكان ابني فاروق أحد هؤلاء الشباب، تعذب فاروق وهو صبي صغير نفسيًا، وتعذب جسمانيًا وهو شاب وهو رجل . . فعندما جئنا إلى معتقل المرج، جاء إليَّ فاروق ليسألني في اهتمام شديد :

أبي . . هل صحيح أنك كنت رئيسًا للجمهورية؟

وتعجبت للسؤال . . لكني ابتسمت لفاروق، وداعبته، وقلت له :

نعم يا بني . . لكن ما الذي جعلك تسأل هذا السؤال . . هذا تاريخ مضى وانقضى .

ولمحت دموعًا حائرة في عيني الصبي، وهو يقدم لي كتابًا في المطالعة، جاءت فيه هذه العبارة :

" وجمال عبد الناصر هو أول رئيس لجمهورية مصر " . رفعت المطابع اسمي من جميع الكتب . . شطبوا اسمي من التاريخ . . وزوروا التاريخ . . بل حاولوا أن يتعاملوا معي كأنني لم أوجد ولم أولد وكأنني كذبة أو خرافة أو إشاعة . . هكذا يزيف التاريخ ببساطة . . وهكذا يتعلم الأولاد الكذب . . لكنني على كل حال لست أول من فعلوا به ذلك . . فقد سبقني على الأقل سعد زغلول الذي وصفوه بأنه قفز على ثورة 1919 ونصب نفسه زعيمًا عليها دون وجه حق . . وفعلوا نفس الشيء بمصطفى النحاس الذي عندما مات قبضوا على كل من مشى في جنازته، وظل محرمًا على المصريين أن يذكروه أو يتحدثون عنه . إلى هذا الحد تصور عبد الناصر أنه يمكن أن يعيد صياغة وكتابة التاريخ حسب ما يريده . لكن . . هل يمكن أن يغير التزييف حقيقة التاريخ؟! لا أعتقد . وقلت لصغيري :

(لا تبتئس يا بني هذه إرادة الحاكم وليست إرادة الشعب) " .

المأساة التي تعرض لها محمد نجيب أثناء العدوان الثلاثي:

أمضى الرئيس الراحل محمد نجيب منذ أن تم نقله إلى المرج في 14 نوفمبر 1954 ما يقرب من ستة عشر عامًا فاقدًا لحريته الشخصية ورهين هذه الاستراحة الريفية الموحشة البعيدة عن العمران. ولم يسمح له خلال السنوات الست الأولى من إقامته بمغادرة هذا المعتقل على الإطلاق. وفي عام 1960 سمح له بالخروج من الاستراحة لزيارة أهله ومعارفه ولكن برفقة عدد من الحراس المسلحين. ولم يحاول محمد نجيب خلال هذه الفترة زيارة أحد من أصدقائه القدامى خشية أن يسبب لهم المتاعب، كما تعمد الابتعاد عن الأماكن العامة حتى لا يلتف الناس حوله ويتذكرون الماضي. هذا ولم يتيسر لمحمد نجيب استعادة حريته تمامًا إلا بعد وفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فعلى أثر تولي الرئيس الراحل السادات مسئولية الحكم في 16 أكتوبر عام 1970 أصدر بعد بضعة أشهر من رئاسته قراراً بالإفراج عن محمد نجيب وإلغاء الحراسة الموضوعة عليه، ونظرًا لعدم وجود سكن خاص له وقتئذ فقد اضطر إلى أن يبقى هو وأسرته في هذه الاستراحة الريفية رغم بعدها عن العمران وتجردها من الأثاث ووسائل المعيشة الكريمة التي تليق برئيس جمهورية مصر الأسبق.

ونظرًا لأن الإفراج عن محمد نجيب قد تم في الفترة التي أعقبت هزيمة يونيو 1967 وهي بداية السبعينيات فإن مشاعره كانت متأثرة بالوضع الأليم الذي كان يعانيه المصريون في هذه الفترة الحزينة من تاريخ مصر بسبب مرارة الهزيمة من جهة والاحتلال الإسرائيلي لأرض سيناء العزيزة من جهة أخرى، ويبدو هذا بوضوح مما سجله في الصفحتين 259، 260 من مذكراته " كلمتي للتاريخ " التي قال فيها ما يلي:

" وأخذت عودتي للحياة الطبيعية وقتًا ما مثلما يعود المقيد بالسلاسل إلى السير دون أثقال الحديد. وعندما اختلطت بالناس من جديد وزرت الأصدقاء ودخلت المكتبات لم أشعر بالراحة والبهجة كما توقعت. كان ظل الكآبة يسود كل شيء.. يعطي للبشر لونًا أصفر ويجعل الابتسامة باهتة وينفث في العيون الحيرة والقلق. وكلمات الحديث أصبحت موجعة ومؤلمة.. لم يعد هناك سوى حديث واحد نبدأ به أو ننتهي إليه.. حديث الهزيمة القاسية

والأرض الضائعة والمستقبل المجهول. كان اقرب إلى نفسي أن أظل محدد الإقامة في عزلتي وتبقى أرض مصر حرة من أن أخرج إلى الأرض حرًا وسيناء كلها تحت أقدام المحتلين من الإسرائيليين. . ذكريات الأيام الماضية تلح علىَّ وتحملني إلى الماضي إلى أيام وسنوات عشتها في سيناء وحاربت فيها في فلسطين.

وكانت المشاعر يومها موحدة ضد الاستعمار والصهيونية، وكانت إرادة الشعب حية ومتوهجة. كل شيء من أجل التحرير، والتضحية بالنفس تتحول إلى شموع تبدد الظلام. أما الآن فالحديث عن المستقبل يقترن دائمًا بالماضي. . بشاعة الهزيمة المفاجئة بددت كثيراً من المعتقدات وكشفت عن المأساة. وأظهرت أن الهزيمة لم تكن في الجيش وحده ولكنها أيضًا في كل مكان. الجيش لم يهزم في معركة بل صدرت الأوامر له بالانسحاب ولم يقاتل، وتحول الانسحاب إلى انهيار. الجيش لم يحارب. . كذلك أقول إنه لم يهزم ولكن هزمت قيادته التي شاءت السلطة الفردية أن تفرضها عليه رغم أنها غير صالحة، والشعب المصري لم يهزم لأنه لم يشارك في مصيره ولم يسهم في اتخاذ قرار الحرب. شعب مصر خدعته الألفاظ البراقة والدعايات الصاخبة والكلمات المتشنجة، وأصبح الموقف مليئًا بالتناقضات طافحًا بالمرارة كئيبًا بسبب اليأس والهزيمة".

كيف تعرض محمد نجيب للضرب؟

ترددت في الواقع قبل أن أروي للقراء ذلك الحادث المهين الذي تعرض له محمد نجيب خلال العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، فإنه لأمر شديد القسوة أن يقرأ الناس كيف تعرض أول رئيس لجمهورية مصر لهذا الهوان في أثناء هذه الفترة العصيبة من تاريخ مصر دون أي داع أو مبرر. ولكن ترددي لم يلبث أن زال فإن الأمانة التاريخية تقتضي منا تسجيل الحقيقة مهما كانت أليمة أو بشعة، كما أن من حق الناس أن يطلعوا على الحقيقة التي هي بلا شك أثمن شيء في الوجود ولعل في ذكرها عبرة لمن اعتبر.

عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر في أواخر أكتوبر 1956 روى محمد نجيب في الصفحة 245 من مذكراته أنه سمع صوت انفجارات متتالية حاول أن يعرف سببها، ولكن إجابات ضباط البوليس الحربي الذين كانوا يشرفون على أعمال الحراسة كانت غامضة ملتوية. وفوجئ محمد نجيب بعد قليل بحضور قائد ثاني كتيبة الحراسة التي أسندت إليها حراسته وكان برفقته مجموعة من ضباط الكتيبة وضباط البوليس الحربي، وقال له قائد ثاني الكتيبة إنه قد تقرر نقله إلى الهرم حماية له من التعرض لغارات الأعداء، وأبدى محمد نجيب دهشته من أن يعملوا على حمايته هو من الغارات الجوية بينما يتركون أسرته تتعرض لهذه الغارات، ولكنه لم يكن أمامه مجال للرفض أو الموافقة.

وأحضروا عربة تابعة للبوليس الحربي وأمروا محمد نجيب بركوبها، وسارت به العربة تحت الحراسة إلى الجيزة، ولكنها تجاوزتها إلى مدينة الصف حيث أنزلوه في استراحة صغيرة هناك، ووصف محمد نجيب الاستراحة بأنها كانت غاية في الإهمال والقذارة ولكن شكواه الكبرى ـ كما ورد في مذكراته ـ لم تكن من سوء حال الاستراحة ولكن من سلوك وتصرفات ضباط البوليس الحربي وما أحاطوه به من استهانة وعدم احترام.

ولم يمكث محمد نجيب في استراحة الصف سوى يوم واحد فقط، ففي اليوم التالي مباشرة أركبوه قطار الصعيد إلى نجع حمادي (تقع في محافظة قنا على بعد حوالي 700 كيلو متر من القاهرة) وأمضى محمد نجيب ساعات رحلته الطويلة في ديوان مغلق لم يفتح طوال الطريق وكان على بابه حراس مسلحون من رجال البوليس الحربي ومن جنود كتيبة الحراسة. ونزل محمد نجيب عند وصوله إلى نجع حمادي في استراحة الري، وبعد أن أمضى فيها يومين فوجئ بحضور ضابطين من إدارة البوليس الحربي.

كان الضابطان اللذان ذكرهما محمد نجيب في الصفحتين 245، 246 من مذكراته "كلمتي للتاريخ" هما جمال القاضي ومحمد عبد الرحمن نصير من الضباط الأحرار بسلاح المشاة الذين اشتركوا في ثورة 23 يوليو 1952، وقد خدما بعد الثورة في قوة البوليس الحربي التي كان يتولى

قيادتها وقتئذ المقدم أحمد أنور، وبعد 4 سنوات وبسبب ظروف خاصة قرر القائد العام المشير عبد الحكيم عامر إحالة هذين الضابطين إلى التقاعد وهما برتبة الرائد وتعيين كل منهما في وظيفة مدنية وكان ذلك في أوائل أبريل عام 1956. وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر اتصل العقيد أحمد أنور قائد البوليس الحربي بالضابطين ـ بعد حوالي ستة أشهر من إحالتهما للتقاعد ـ وطلب منهما ارتداء ثيابهما العسكرية مرة أخرى فقد تقرر استدعاؤهما للخدمة بالبوليس الحربي لحين انتهاء الحرب. وعندما التقى الضابطان بأحمد أنور في إدارة البوليس الحربي بعابدين كلفهما بمهمة خاصة ذات أهمية بالغة وهي مرافقة محمد نجيب أثناء نقله من استراحة الري بنجع حمادي إلى المكان الجديد الذي خصص له في بلدة طما (تتبع محافظة سوهاج) وفرض الحراسة المشددة عليه طوال مدة وجوده في ذلك المكان لضمان عدم عودته إلى القاهرة.

نعود بعد ذلك إلى ما رواه محمد نجيب في الصفحة 246 من مذكراته عن واقعة الاعتداء المنكرة التي وقعت عليه من هذين الضابطين بعد حضورهما إلى استراحة الري بنجع حمادي، فقد قال ما يلي بالنص: "حاولت التعرف منهما ـ أي من القاضي ونصير ـ عن الهدف من هذه الرحلة الطويلة ومن ابتعادي عن أسرتي وأولادي ومن ترحيلي من القاهرة في وقت يتعرض فيه الناس لقنابل الأعداء وكان الجواب بشعًا.. أود ألا أكتبه أو أسجله ولكني بذلك أطمس جانبًا من الحقيقة.. والحقيقة أثمن ما في الوجود وهي التي تعطي لمعالم الصورة ألوانها الطبيعية وتبعث النبض في التاريخ. أمر شديد القسوة أن يكتب الإنسان عن إهانة تعرض لها ولكن رواية الحقيقة قد تمنع تكرار المأساة.

كان الجواب بشعًا.. سيل من السباب حاولت وقفه بصرخة احتجاج فإذا بضابط منهما يدفع يده في صدري يحاول ضربي. وهانت عندي الحياة في لحظتها وقلت فلتنته هنا هذه المأساة وهجمت على الضابط أحاول منعه من الاعتداء ولكن أيدي الجنود كانت أسرع إلى قيدي بأوامر صارخة مرتجة من الضابط المعتدي.

أي هوان تعرضت له في هذه اللحظة؟! ألم شعرت به يطعن صدري كسكين.. بلدي مصر يضرب بالقنابل وأنا أضرب بالأيدي في قلب الصعيد. وبأيدي ضباط صغار لم يحترموا الرتبة الكبيرة بل لم يحترموا العمر فقد كانوا في سن أولادي فعلاً (كان محمد نجيب يناهز وقتئذ الخامسة والخمسين من عمره) أي تغيير حدث في مصر؟ أي انهيار حدث في تقاليد الجيش؟ جلست عاجزًا.. ضاع مني كل شيء حتى الكلمات.. ارتفع الدم في رأسي فشعرت به يغلي وتبدد التفكير. هانت عندي الحياة وتمنيت الموت، ولم أكن قادرًا على صنع شيء سوى الإضراب عن الطعام. أضربت عن الطعام يومين كاملين، وكان عقلي في كل لحظة مع مصر.. مع ما يحدث لها الآن. ولم تكن هناك فرصة للاستماع إلى الإذاعة في هذا الجو المشحون بالقلق والتوتر، وبعد يومين فوجئت بحضور حسين عرفة ضابط البوليس الحربي وقائد المباحث الجنائية العسكرية يعتذر لي عما بدر من الضباط، ويبلغني أننا سننتقل إلى جهة أخرى بعد تغيير الضابطين.

كنت عازمًا على استئناف الإضراب عن الطعام ولكن ذلك يؤدي إلى الانتحار وهو أمر بغيض عند الله، وقررت أن أنطوي داخل نفسي أعيش أفكاري وذكرياتي مادام أصبح متعذرًا أن أعرف ما يدور فوق أرض مصر وأنا مازلت حيًا في صعيدها، وانتقلنا إلى بيت محام في طما عرفت فيما بعد أنه زوج شقيقة أحمد أنور وعديل حسين عرفة" .

اعترافات الرائد جمال القاضي:

من المصادفات التي تسترعي الالتفات أن أحد الضابطين اللذين روى محمد نجيب في مذكراته أنهما قاما بالاعتداء عليه بالضرب في استراحة الري بنجع حمادي وهو الرائد جمال القاضي الضابط السابق بإدارة البوليس الحربي نشر سلسلة مقالات في مجلة صباح الخير تحت عنوان "اعترافات" ، تناول فيها بعض ذكرياته عن أحداث ليلة 23 يوليو 1952 وعن بعض ذكرياته خلال السنوات الأولى للثورة. والأمر الذي أثار اهتمامي هو ما ورد في الحلقة الأخيرة من هذه المذكرات والتي نشرت في العدد 1760 من مجلة صباح الخير الصادر في 28 سبتمبر

1989 تحت عنوان " خطفنا (نجيب) كي لا يأتي به الإنجليز رئيسًا للحكومة " ، فقد تضمنت الحلقة المذكورة قصة ترحيل محمد نجيب من معتقل المرج إلى استراحة الري بنجع حمادي، ثم نقله بعد ذلك إلى بيت ريفي في بلدة طما (محافظة سوهاج) يملكة زوج ابنة أخت قائد البوليس الحربي وقتئذ أحمد أنور، وقد أمضى محمد نجيب في ذلك البيت ـ كما سجل في مذكراته ـ شهرين كاملين وكما حضر بلا مقدمات رجع أيضًا بلا مقدمات . . حضر إليه حسين عرفة ورافقه إلى القاهرة وعلم منه أن إقامته في (طما) كانت سرية وعاد إلى المرج من جديد وهو يتساءل : " لماذا أقدم عبد الناصر على هذا التصرف ولماذا هذه المعاملة الجافة الخشنة؟ " .

- وقد ورد في اعترافات جمال القاضي ما يلي بالنص :

" ليس سرا أن أحد أهداف العدوان الثلاثي خريف 1956 كان إسقاط وتصفية نظام جمال عبد الناصر . وكان اسم محمد نجيب هو المرشح لكي يأتي به الإنجليز رئيسًا لمصر بعد إسقاط عبد الناصر، وعندما علمنا بذلك ثارت ثائرتنا، وكنت وقتها ـ ابتداء من أبريل 1954 ـ أعمل في بنك مصر وتركت إدارة البوليس الحربي، وذات صباح تحدث إليَّ الأخ أحمد أنور قائد البوليس الحربي يدعوني لاجتماع طارئ وهام للضباط الأحرار حضره كمال رفعت وصلاح سعدة وحمدي عاشور وآخرون، وتم اتخاذ قرار بأنه في حالة تقدم الإنجليز في طريقهم للقاهرة فلا بد من التخلص فوراً من اللواء نجيب . وفي الوقت نفسه قام أحمد أنور بإبلاغ عبد الناصر هذا القرار للجمعية العمومية للضباط الأحرار، وقال عبد الناصر له : لا تسبقوا الأحداث، وإذا وصل الإنجليز عند منطقة الكاب وأصبحوا قريبين من القاهرة يحلها ربنا . وأضاف عبد الناصر قائلاً : ولكن إذا تم هذا الموضوع ـ أي التخلص من نجيب ـ فيتم بدون علمي . وعاد أحمد أنور ليبلغنا بما جرى بينه وبين عبد الناصر كاملاً " .

- لم يرد في أي مرجع رسمي إنجليزي أو فرنسي رغم نشر جميع الوثائق السرية لحرب العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وبعد مرور هذه السنوات الطويلة على وقوعه أن محمد

نجيب كان مرشحًا من قبل الإنجليز كي يأتوا به رئيسًا لمصر بعد إسقاط عبد الناصر، ولم يكن من المعقول أن يفكر الإنجليز في اسم محمد نجيب بالذات لكي يتعاون معهم في حالة نجاحهم في احتلال مصر لأن الرجل كان معروفًا طوال حياته بوطنيته وعدائه الشديد للإنجليز، وكان ذلك من أسباب حب الشعب له وكان قبوله التعاون مع الإنجليز الغزاة معناه فقده لشعبيته، وبالتالي ضياع مركزه وقيمته لديهم. ولم يكن إبعاد محمد نجيب عن القاهرة واعتقاله في البيت الريفي ببلدة طما ـ على فرض أن الإنجليز قد رشحوه حقيقة لرئاسة مصر بعد تصفية عبد الناصر ـ يسبب أية مشكلة للإنجليز، فقد كان باستطاعتهم العثور وقتئذ على مئات الأشخاص الذين يرحبون بالتعاون معهم وتولي رئاسة مصر.

ومن العجيب أن يقال إنه كان يوجد ما يسمى بالجمعية العمومية للضباط الأحرار في أواخر عام 1956، إذ لم توجد جمعية بهذا الاسم سواء قبل الثورة أو بعدها، وهي حقيقة يعرفها جميع الضباط الأحرار، والهيئة الوحيدة التي كانت قائمة قبل الثورة هي اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار أو لجنة القيادة، وقد تحولت بعد نجاح الثورة إلى مجلس قيادة الثورة، ولم يكن مجلس الثورة يسمح بتكوين جمعية عمومية للضباط الأحرار إلى جانبه حتى لا تنازعه السلطة. ولا يعني اجتماع خمسة أو ستة من الضباط الأحرار في جلسة خاصة لمناقشة أحد الموضوعات وإبداء رأيهم فيه أن مثل هذا الرأي قد أصبح قرارًا صادرًا من الجمعية العمومية للضباط الأحرار ينبغي لمجلس الثورة الالتزام به. أما الادعاء بأن جمال عبد الناصر قال لأحمد أنور: إنه إذا تم التخلص من محمد نجيب فإن ذلك يتم بدون علمه، ففضلاً عن أن هذا الادعاء منسوب إلى اثنين قد توفيا إلى رحمة الله مما لا يمكن معه معرفة الحقيقة فإن هذا القول لا يمكن تصديقه إذ إن التخلص من محمد نجيب بالقتل، كما هو مذكور في هذه الحلقة من الاعترافات، هو أمر لا يعني سوى الخيانة والغدر فضلاً عن مخالفته لجميع الشرائع والأخلاق والقوانين، وتلك صفات هي أبعد ما تكون عن مبادئ عبد الناصر وصفاته وأخلاقه، كما أننا ننزهه عن الموافقة على ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنعاء ضد إنسان أعزل. إن هذه الفقرة فيها أبلغ إساءة إلى عبد الناصر وإلى تاريخه.

- واستطرد جمال القاضي في اعترافاته فقال بالنص :

"تركت المنزل بعد ذلك وكانت في انتظاري سيارة البوليس الحربي ووجدت أحمد أنور قد رتب كل شيء لهذه المهمة، وقال لي : سوف يسافر معك أفراد عيلتي إلى طما (سوهاج) وهي بلد حسن السيد زوج بنت أختي . وشرح لي أحمد أنور أننا سنقيم في فيلا حسن هذا ومعنا زوجة أحمد أنور وزوجة حسن السيد وهذه الفيلا في منطقة منعزلة تمامًا عن طما، أما أفراد البوليس الحربي الذين سيسافرون معي تحت قيادتي فهم : اليوزباشي (النقيب) عبد الرحمن فريد واليوزباشي محمد نصير والملازم أول محمود حسني عبد القادر زوج بنت أخت أحمد أنور وسوف نتركه في طما لكي ينفذ عملية محمد نجيب . ووصلنا المغرب تقريبًا وتركنا الستات في الفيلا، ثم واصلنا السفر إلى نجع حمادي وتوجهنا فوراً على الاستراحة التي يقيم فيها محمد نجيب حيث كان يقوم على حراسته اليوزباشي الشناوي (كان أحد أفراد القوة التي احتلت الإذاعة فجر 23 يوليو تحت قيادتي) وقال لنا الشناوي : لا أستطيع تسليمكم محمد نجيب إلا إذا جاء أمر بذلك من مصر . سألته : مين بالتحديد؟ قال : صلاح نصر أو زكريا محيي الدين أو الريس عبد الناصر شخصيًا، قلت له : لهذه الدرجة؟! فقال : الراجل عهدة عندي ودي أوامر . قلت للملازم الشناوي : اتصل بمن تشاء وسوف نخرج الآن نتمشى شوية في البلد وسوف نأتي بعد نصف ساعة، وخرجنا جلسنا على قهوة بلدي تطل على النيل وأكلنا فول وطعمية .

- عدنا للاستراحة وقال لنا الملازم الشناوي إنه اتصل بصلاح نصر وكله تمام، وسألته : وأين محمد نجيب الآن؟ فقال : فوق ومعاه طبيب ضابط، وعلى أطراف أصابعنا صعدنا على الطابق الأعلى وتناهى إلى أسماعنا صوت محمد نجيب وهو يصرخ ويشتم الدكتور ويسب الثورة ورجالها ثم بدأ يقول للطبيب المسكين : بكره الإنجليز يحتلوا مصر وتشوفوا ها أعمل فيكم إيه يا ولاد الـ . . . كل هذه الشتيمة من نجيب .

- هذه الواقعة لا يصدقها ألد أعداء محمد نجيب، فمهما اختلفت الآراء في شخصية محمد

نجيب أو حقيقة دوره في الثورة فلا يمكن أن يختلف أحد في وطنيته وإخلاصه لبلاده. إن الادعاء الظالم بأن محمد نجيب قال "بكره الإنجليز يحتلوا مصر وتشوفوا ها أعمل فيكم إيه يا ولاد.." يعني بطريق غير مباشر أن اتفاقًا سريًّا قد عقد بين الإنجليز ومحمد نجيب وأنه قد وافق على التعاون معهم لاحتلال بلاده وليتولى الرئاسة تحت حرابهم وأنه سوف ينكل بأعدائه من رجال الثورة الذين كان يسبهم أمام الطبيب الذي يعالجه. إنني أجزم أنه لا يوجد مصري واحد يحترم عقله يصدق كلمة واحدة من هذا الادعاء الكريه. إن محمد نجيب كان الضابط الوحيد في الجيش المصري الذي قدم استقالته في إثر حادث 4 فبراير 1942 احتجاجًا على حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين وفرض تعيين مصطفى النحاس رئيسًا للوزراء، كما كان لمحمد نجيب دور وطني مشرف عندما نشبت الثورة الشعبية في مصر عام 1919 بقيادة سعد زغلول، ورغم أنه كان وقتئذ ضابطًا حديث الرتبة ملازم ثان بالكتيبة 16 مشاة بالسودان فقد اشترك في جمعية سرية للضباط الوطنيين كان مقرها الخرطوم. ونظرًا لنشاط الجمعية في تأييد ثورة 1919 لذا أصدر السردار البريطاني أمره بإغلاق نادي ضباط الجيش بالخرطوم واعتقال عدد من أعضاء الجمعية كان من بينهم محمد نجيب. وعندما وصل محمد نجيب إلى القاهرة في إجازة اشترك في مظاهرة عسكرية للضباط توجهوا فيها بملابسهم الرسمية إلى بيت الأمة احتجاجًا على نفي سعد زغلول، ولم يخش محمد نجيب أن تكشفه عدسات التصوير لدى السلطات فظهر في إحدى الصور وسط المظاهرة العسكرية حاملاً العلم المصري وظهر في صورة أخرى وهو يحمل صورة سعد زغلول.

وعندما كان محمد نجيب رئيسًا للوزراء بعد الثورة وتولى رئاسة وفد مصر في مفاوضات الجلاء مع الوفد البريطاني عام 1953، وكان وفد مصر يتكون من عبد الناصر والبغدادي وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم والدكتور محمود فوزي كان محمد نجيب شديد الصلابة أمام الإنجليز وعارض بشدة بقاء القاعدة البريطانية في وقت السلم، أو وجود

الفنيين الإنجليز غير خاضعين لسلطة الحكومة المصرية، أو عودة القوات البريطانية في حالة الهجوم على تركيا، ولما رفض الإنجليز وجهة نظره بادر بقطع المفاوضات مرتين.

- كانت الساعة حوالي الواحدة ليلاً عندما غادرنا جميعًا نجع حمادي في طريقنا إلى بلدة طما، قمت أنا بقيادة العربة وفي الخلف جلس نجيب وبجواره محمد نصير، وفي عربة أخرى يوجد عبد الرحمن فريد ومعه السفرجي، وكان كل منا مسلحًا بطبنجة، وبينما العربات تسير فوجئنا بسماع صوت ارتطام فظيع واكتشفنا أن السيارة غرزت في الرمل وتسبب ذلك في أن الاكصدام بتاع العربية أصبح يحتك بإطار فردة الكاوتش، وبالطبع انزعجنا ونزلت محاولاً إصلاح ما جرى، وكان نصير قد أخرج المسدس وقال لنجيب: إذا تحركت حركة واحدة حضرب في المليان.

- لا شك أنه أمر يدعو إلى الأسف الشديد أن نقرأ في الفقرة السابقة أن ثلاثة ضباط في ريعان شبابهم مسلحين بالمسدسات ويركبون عربتين عسكريتين يخشون من رجل مسن في العقد السادس من عمره ولا يحمل أي سلاح بحيث يبادر أحدهم وهو محمد نصير بتهديد محمد نجيب بالضرب في المليان إذا تحرك حركة واحدة. أي حركة كان في إمكان محمد نجيب القيام بها وهو وحيد أعزل وتحت الحراسة وفي هذا الطريق الريفي الموحش وفي هذه الساعة المتأخرة بعد منتصف الليل وفي طي هذا الظلام الدامس؟ إن هذا القول فيه إساءة بالغة إلى الضباط الثلاثة ولا يسيء إلى محمد نجيب.

- وبعد ساعتين كنا قد وصلنا إلى طما وذهبنا إلى الفيلا ووضعنا بها محمد نجيب. وظل مع محمد نجيب ضابط البوليس الحربي محمود حسني عبد القادر زوج بنت أخت أحمد أنور قائد البوليس الحربي والمكلف بقتل محمد نجيب بمجرد أن يتسلم إشارة لاسلكية معينة، كنا قد اتفقنا معه عليها. وغادرنا طما عائدين إلى القاهرة، وفي الحال اتصلت بأحمد أنور ورويت له كل ما جرى بشأن نجيب. وطلب مني الذهاب للرئيس جمال عبد الناصر لأعطيه التمام بأداء المهمة.

- من العجيب أن يتحدث جمال القاضي في زهو وافتخار عن هذه المهمة المنكرة التي تم تكليف بعض ضباط البوليس الحربي بها، وهي اعتقال رئيس جمهورية مصر السابق وسجنه داخل بيت ريفي منعزل في بلدة طما يملكه زوج ابنة أخت أحمد أنور، ثم ترك أحد الضباط وهو محمود حسني عبد القادر (زوج الابنة الثانية لأخت أحمد أنور قائد البوليس الحربي) للقيام بدور الجلاد وقتل محمد نجيب بمجرد أن يتسلم إشارة لاسلكية معينة. إن اعتقال شخص بريء ووضعه في سجن أو معتقل دون ذنب أو جريرة جريمة ضد الحرية والإنسانية، أما التحضير والاستعداد لاغتيال رجل مُسِنٍّ، أعزل من السلاح بينما هو تحت أيديهم في المعتقل وأن يتم ذلك دون أية محاكمة أو إعطائه الفرصة للدفاع عن نفسه فهذه جريمة بشعة لا يرتكبها إلا القتلة والسفاحون، كما أنها تتنافى مع جميع الشرائع والقوانين والمبادئ والأخلاق ولا تبررها حتى شريعة الغاب.

m l k j i h g f e d c b a M

L n (البقرة: 206).

وروى محمد نجيب بعد ذلك في مذكراته كيف وضعوه بعد انتقاله إلى بيت المحامي عديل حسين عرفة داخل غرفة شديدة البرودة، فلم تكن الشمس تدخلها كما لم يكن مصرحًا له بالخروج منها طوال النهار. وفضلاً عن المتاعب التي واجهها محمد نجيب بسبب هذا الحبس الانفرادي شديد القسوة فقد حرم أيضًا من حرية النوم، إذ كان يشاركه في غرفته الضيقة في أثناء النوم ثلاثة أفراد من قوة الحراسة هم ضابط ومساعد ورقيب. وبعد أن أمضى محمد نجيب شهرين كاملين حبيس هذه الغرفة الصغيرة في بيت المحامي بمدينة طما، حضر إليه فجأة وبدون مقدمات حسين عرفة قائد المباحث الجنائية العسكرية وعديل صاحب البيت ورافقه في رحلة العودة بالقطار إلى القاهرة، وعلم محمد نجيب منه أن إقامته في طما كانت سرية على جميع أجهزة الأمن في مصر بمن فيهم كبار المسئولين بوزارة الداخلية، ومن مراجعة التواريخ التي ذكرها محمد نجيب في مذكراته عن رحلته الشاقة إلى أقصى الصعيد وإقامته شهرين في بلدة طما

يتضح لنا أن موعد عودته كان خلال الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر 1956، ونظرًا لأن رحيل آخر فوج من قوات المعتدين الإنجليز والفرنسيين عن بورسعيد كان يوم 22 ديسمبر 1956 فإن ذلك يعني أن السلطات لم تسمح له بالعودة إلى القاهرة إلا بعد حوالي أسبوع من جلاء آخر قوات الغزو عن بورسعيد.

ومما يدعو إلى العجب أن أحد الضابطين اللذين ذكر محمد نجيب أنهما اعتديا عليه بالسب والضرب في استراحة الري بنجع حمادي وهو جمال القاضي نشر في أثناء قيامه بالعمل في أحد المصارف المصرية في بيروت مقالاً في مجلة أسبوعية لبنانية خلال السبعينيات تناول فيه رحلة محمد نجيب إلى أقصى الصعيد في أثناء العدوان الثلاثي على مصر، وكان عنوان المقال الذي وضعته المجلة الأسبوعية على غلافها بقصد الإثارة هو "أمروني بقتل محمد نجيب". وذكر الضابط السابق في المقال كيف اتصل به العقيد أحمد أنور قائد البوليس الحربي هاتفيًا في منزله عقب العدوان الثلاثي وطلب منه ارتداء ملابسه العسكرية والحضور إليه فورًا حيث تقرر استدعاؤه للخدمة مع عدد من زملائه الذين سبق إحالتهم على التقاعد. وكان الأمر الذي يدعو للأسف الشديد أن يدعى هذا الضباط ضمن مقاله في الجريدة اللبنانية ـ الذي أساء إلى مصر إساءة بالغة ـ أنه كلف بالإشراف على حراسة محمد نجيب في معتقله الجديد بأقصى الصعيد والقيام بقتله في حالة علمه بدخول الإنجليز والفرنسيين القاهرة.

خطاب محمد نجيب إلى عبد الناصر:

في يوم الاثنين ربيع الثاني 1376هـ الموافق 5 فبراير 1956.

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر، السلام عليكم ورحمة الله ـ وبعد، فقد يظن غيركم أني هازل أو محاول الدعاية لنفسي أو غير ذلك، ولكنكم تعرفون أخلاقي ومن ميزاتكم الفريدة القدرة على معرفة الرجال كما أن أي رجل شجاع أو أي وطني حميم يستطيع بسهولة أن يؤمن بصدق ما أكتبه إليكم الآن، أريد أن نضرب للمواطنين مثلاً جديدًا على إنكار الذات والتضحية بكل شيء في سبيل البلاد، أريد أن نقف رجلاً واحدًا ندافع عن الوطن العزيز في هذه الساعة الحرجة.

أريد منك أن تسمح لي بأعز أمنية وهي المشاركة في أقدس واجب وأشرفه وهو الدفاع عن مصر، فاسمح لي بالتطوع جنديًّا عاديًّا في جبهة القتال باسم مستعار وتحت أية رقابة شئت، دون أن يعلم أحد بذلك غير المختصين، وإني أعدك بأثمن ما أملك، أعدك بشرفي أن أعود إلى معتقلي إذا بقيت حيًّا بعد انتهاء القتال. وبذلك تغسلون ما لحق بي من آلام.

كما تسعدون العدد الكبير من الضباط والجنود المعينين لحراستي والمحرومين مثلي من شرف الاشتراك في القتال وتوفرون مبلغًا كبيرًا ينفق على هذه الحراسة. وأنا لا أريد سوى أن أختم حياتي ختامًا شريفًا.

ولو خامركم الشك فيما أقول فإني مستعد أن أقوم بعمل انتحاري كقيادة طوربيد أو أن أسقط بطائرة أو مظلة محاطة بالديناميت على أية بارجة أو هدف مهم من أهداف العدو. وهذا إقرار مني بذلك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولم يرد عبد الناصر على خطابي.. ولم أجد ما أشارك به في المعركة سوى التبرع بمبلغ بسيط هو خمسة جنيهات، وهو كل رصيدي في البنك، فأرسلت الشيك رقم 705847 على البنك الأهلي باسم عبد الحكيم عامر، لكنني فوجئت بالشيك يعود إليَّ ومعه خطاب من أحمد أنور يسبني فيه، ويسفه دوري في الثورة ويؤكد أنها ليست في حاجة لأموالي.

خطاب أحمد أنور إلى محمد نجيب:

إن القوات المسلحة لم تكن ولن تكون بعون الله وبهمة رجالها وبالروح التي بعثتها الثورة من العزة والكرامة التي خلقها زعيمنا في نفس كل فرد من أفراد الأمة في حاجة إلى مثل هذا المبلغ.

إن نفسي لتبرأ أن أحيط القائد العام علمًا بتبرعك حتى لا أبعث في نفسه اشمئزازًا من تصرف رجل انتسب إلى الجندية وانتسب إلى مصر في يوم من الأيام.

لذلك أرى ـ رحمة بك ـ أن أرد لك هذه القروش فمثلك أولى بها، فربما تعوضك عن بعض ما فاتك من البذل والعطاء الذي يبذله أبطالنا اليوم.

كان ذلك في 21/ 11/ 1956. وواضح أن أحمد أنور تعمد إهانتي ليرضي قادته الذين أرسل لهم صوراً من هذا الخطاب الذي كان في الحقيقة موجه لهم أكثر مما هو موجه لي. وليس صحيحًا ما جاء في هذا الخطاب.. وقد رددت عليه بعد يومين بخطاب مهذب لعله يشعر بالكسوف..

خطاب محمد نجيب إلى أحمد أنور:

في 23/ 11/ 1956 كتبت له:

السيد/ القائمقام أحمد أنور

بعد التحية أرجو أن تطلعوا على حسابي في البنك فهو حوالي الخمسة والسبعين جنيها منها 64 جنيها رصيد شيكات مسحوبة مني لم تصرف بعد (ومن ضمنها 50 جنيها تبرعات لمشروعات قومية) وآسف أنكم ثرتم وبنيتم خطابكم على ثروة وهمية لم يدخل في ذمتي منها مليمًا، وقد شرحت للسيد محمود عزت تفاصيل كل شيء وأنا لم أتبرع إلا إرضاء لضميري ولن يكون هذا التبرع هو الأخير.

M فَإِنَّ مَعَ ۝٥ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا L (الشرح: 5، 6).

وسل أخي على نجيب لتعرف منه أنني أصبحت مدينًا له بما لا يقل عن المائتي جنيه، حيث اضطررت لأن أقترض لأكمل المبلغ المطلوب لدراسة ابني فاروق بألمانيا. لقد أبقيت المبلغ حتى أستطيع أن أضيف إليه ما يرفع قيمته إلى ما يتناسب مع ثرائي العريض ثم أتبرع به.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ولم تمر أسابيع قليلة حتى فوجئ أحمد أنور بخطابي إلى السيد قائد عام القوات المسلحة ووزير الحربية الذي أطلب فيه استبدال 20 جنيهًا من معاشي، لأني في حاجة إلى المبلغ لإجراء

obeikandl.com

عملية جراحية في عظام الرأس لأحد أبنائي ولتغطية نفقات تعليم أولادي، خاصة أن صافي معاشي لم يزد على 176 جنيهًا.

وعرف أحمد أنور بالطبع إلى أي مدى كان متجنيًا علىَّ.. لكنه لم يكلف نفسه بالطبع الاعتذار ولو شفهيًا. لقد كانت سنوات المرج الأولى أشد سنوات عمري قسوة. وضاعف من إحساسي بالقسوة أن البلد كله كان يتجه بسرعة خرافية إلى حكم الفرد وإلى تمركز السلطة في يد جمال عبد الناصر دون أن يجرؤ أحد على أن يقول له: لا.

فبعد أن كان كمال الدين حسين يشغل تسعة مناصب خرج من السلطة بلا عمل واحد، وكان لا يزال تحت الخمسين. وخرج جمال سالم.. ثم حسن إبراهيم.. فعبد اللطيف البغدادي.. وزكريا محيي الدين.. واغتيل عبد الحكيم عامر أو انتحر.. الله أعلم.

وذاق الذين ساندوا الديكتاتورية من نفس الشراب الذي سقوه للآخرين.. إنهم لم يسكتوا على الخطأ فقط وإنما ساندوه أيضًا.. ودافعوا عنه.. وبرروه.. وفي كثير من الأحيان أسهموا فيه.. ومع ذلك عندما انتهى دورهم أطيح بهم.. وأصبحوا مثلي،.. وليس لهم العذر الذي حاولوا إشاعته، وهو قلة خبرتهم السياسية، وكثرة أعداء الثورة، وطبيعة النظام العسكري الذي خرجوا منه والذي يؤمن بتنفيذ الأمر مهما كان غير منطقي أو غير سليم.. فإذا كانوا يعرفون ذلك، فلماذا لم يعودوا إلى الجيش ويتركوا السياسة لأصحابها.. فالسياسة تختلف عن العسكرية، فهي تفاعل حي وحر لآراء الجماهير ومعتقداتها.. وهي أن تمشي وراء الجماهير لا أن تجعلها تمشي وراءك. ولو كانوا قد قرأوا قليلاً في التاريخ أو السياسة، لعرفوا أن عبد الناصر نفذ نصائح ميكيافللي في كتابه (الأمير) خاصة تلك التي تنصح الحاكم بالتخلص من كل الذين ساعدوه في الوصول إلى الحكم واستبدالهم بآخرين يدينون له بالطاعة والولاء.. فبعد أزمة مارس تخلص عبد الناصر تدريجيًا من رفاقه القدامى، وجاء بجدد لم يكن لهم هم سوى إرضائه.

وبعد ست سنوات داخل معتقل المرج، سمح لي أن أتحرك في بعض الزيارات العائلية أو

زيارات المجاملات، على أن يرافقني بعض ضباط المخابرات ويذهبوا معي إلى كل مكان أذهب إليه.

إنني أعتقد أحيانًا أن حظي كان أفضل من حظ باقي أعضاء مجلس الثورة.. فذنوبهم كانت أكثر من ذنوبي.. وخطاياهم كانت أشد.. وما فعلته لم يجرؤوا أن يفعلوه.. لقد قنعت بإقامتي في معتقل المرج.. وتآلفت مع كل ما فيها.. قرأت الكثير من الكتب في كل فروع المعرفة من الطب إلى التاريخ.. ومن علم الكف إلى علم الفراسة ومن علوم الأحياء والجيولوجيا.. كل فروع المعرفة بلا استثناء.. وتعلمت لغات أجنبية كنت لا أعرفها.. حتى اللغة العبرية درستها.. وانشغلت بتربية القطط والكلاب.. وأنا أعتبر القطط والكلاب أكثر وفاء من البشر.. حتى إنني نجحت معها في تغيير طبيعتها.. إنني لازلت أحتفظ بصورة نادرة لكلبة من كلابي، ترقد على جنبها وترضع منها قطة فقدت أمها.. إن هذه الصورة دليل على أن العداء التقليدي والطبيعي بين الحيوانات يمكن أن يذوب ويتلاشى بالحب والرعاية.. وهذه الصورة دليل على أن الحيوانات أكثر ليونة ورقة في التخلص من شراستها من البشر.

ادعاء هيكل أن محمد نجيب تسلم ثلاثة ملايين دولار من المخابرات الأمريكية

ادعى هيكل على محمد نجيب بالباطل، في كتابه "ناصر والعالم" أنه تسلم من المخابرات الأمريكية ثلاثة ملايين دولار، هي التي بنى بها برج القاهرة.. قال هيكل بالنص:

"وذات يوم كان عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة يبحثون مسألة بناء برج لاسلكي للاتصالات العالمية التي تقوم بها وزارة الخارجية وإدارة المخابرات، وقيل لعبد الناصر إنه سبق أن تم شراء بعض المعدات، ولما احتج بأنه ليست هناك أموال مرصودة في الميزانية لهذا الأمر قيل له إن المال جاء من اعتماد أمريكي خاص، ودهش عبد الناصر إذ كانت هذه أول مرة يسمع فيها بوجود أي اعتماد خاص، وقيل له إن وكالة المخابرات المركزية وضعت تحت تصرف اللواء محمد نجيب ثلاثة ملايين دولار، وكان المبلغ قد تم تسليمه بواسطة عميل أمريكي

في حقيبة ضخمة عبئت بقطع نقدية من فئة المائة دولار، وسلمت الحقيبة في الواقع إلى ضابط في المخابرات المصرية كان يعمل كضابط اتصال بين المخابرات المصرية ووكالة المخابرات الأمريكية، وتمت عملة الدفع والاستلام في بيت العميل الأمريكي في ضاحية المعادي الأنيقة. واستشاط عبد الناصر غضبًا عندما سمع ذلك وتوجه بالسيارة فوراً إلى مجلس الوزراء وطلب تفسيراً من محمد نجيب الذي كان آنذاك رئيسًا للوزراء. وأصر نجيب على أنه فهم أنه ليست للمخابرات الأمريكية علاقة بذلك المبلغ وأنه مرسل من الرئيس أيزنهاور الذي خصص اعتمادات مالية لبعض رؤساء الدول ليتمكنوا من تجاوز مخصصاتهم المقيدة بالميزانية من أجل الدفاع عن أنفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية. وهنا طلب عبد الناصر إيداع المال في خزينة إدارة المخابرات وأمر بعدم صرف أي شيء منه إلا بإذن من مجلس قيادة الثورة.

وفي النهاية بنى البرج وكان مخططًا له في الأصل أن يكون برجًا بسيطًا يعلوه هوائي لاسلكي وشبكة أسلاك تنحدر إلى الأسفل عبر وسطه، لكن جمال عبد الناصر قرر أن يبنيه كنصب يشهد على حماقة وكالة المخابرات الأمريكية، فاستخدم الأموال الأمريكية لبناء البرج الفخم المزركش وبنى المطعم الدوار الذي في قمته والذي يطل اليوم على منظر القاهرة كلها.

وقد لقي البرج انتقاداً شديداً عند تشييده لأنه لم يكن في وسع أحد أن يفهم سبب إهدار المال عليه. وإذا كان قسم المواصلات في مبنى البرج جديًّا وجوهريًّا فقد كانت الاعتمادات المتاحة معقولة ولم يكن هناك بأس من بناء المطعم ومن الهندسة الباذخة، وبشكل ما فإن ذلك كان إهانة إلى وكالة المخابرات الأمريكية. وقد غضب عبد الناصر غضبًا شديداً بسبب هذه الحادثة التي اعتبرها محاولة للإفساد".

قال محمد نجيب: "قرأت ما كتبه هيكل وضحكت.. إلى هذا الحد يمكن أن تصل الفبركة بكاتب.. إلى حد التلفيق والافتراء.. لكني أدركت للوهلة الأولى من قراءة هذه الرواية الباطلة أن الكذب لا أقدام له.. فأنا لم تكن لي صلة بهذا الموضوع لسبب بسيط وهو أنني كنت معتقلاً يوم وصل هذا المبلغ إلى مصر.

وقد شرحت من قبل علاقتي بالأمريكان وعلاقة عبد الناصر بهم. يضاف إلى ذلك ما نشره رجل المخابرات الأمريكي الشهير (مايلز كوبلاند) في كتابه "لعبة الأمم" والذي قال فيه بصراحة أنه سلم المبلغ لرجل المخابرات المصري حسن التهامي صديق عبد الناصر المقرب، وأحد الذين يعتمد عليهم في اتصالاته السرية، والذي اشترك معه في محاولة اغتيال حسين سري عامر واشترك معه في كل الاتصالات التي جرت بين الأمريكان والثورة.

وأردت أن ألقن هيكل درسًا علنيًا يوجعه.. رفعتُ دعوى ضده في نوفمبر 1972 أمام محكمة جنايات الجيزة. وعرف هيكل بالدعوى.. وسارع بالاتصال بالمحامي الذي تولى رفع الدعوى وهو الأستاذ رفعت الشهاوي، وطلب منه أن يتوسط عندي لسحب الدعوى.

قلت: على شرط أن ينشر بيانًا في الأهرام والديلي تلجراف والنهار اللبنانية يعتذر فيه عما نشره ويكذبه، ووافق هيكل".

* * * * *

بيان هيكل في جريدة الأهرام يوم الجمعة 2 يونيو 1972:

نشر هيكل البيان التالي:

"كان الأهرام قد بدأ في 17 سبتمبر 1971 وعلى مدى عدة أسابيع في نشر فصول من الكتاب الذي صدر بعد ذلك لمحمد حسنين هيكل عن عبد الناصر والعالم والذي ترجم أخيرًا إلى اللغة العربية.

وفي أول هذه الفصول وهو الخاص (بعبد الناصر ودالاس) ومحاولات الولايات المتحدة احتواء الثورة المصرية وغوايتها، ذكرت واقعة بناء برج القاهرة من حصيلة مبلغ ثلاثة ملايين دولار كانت المخابرات الأمريكية قد أرسلته ليوضع تحت تصرف رئيس الدولة في مصر وقتئذ.

وقد جاء في رواية هذه الواقعة في الكتاب المنشور أن هذا المبلغ كان قد وضع تحت تصرف اللواء محمد نجيب، وأنه دفع من الاعتمادات التي يخصصها الرئيس أيزنهاور لبعض رؤساء

الدول ليتمكنوا من تجاوز مخصصاتهم المقيدة بالميزانية من أجل الدفاع عن أنفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية .

وبقدر حرص الأهرام والأستاذ محمد حسنين هيكل على رواية التاريخ المعززة بالوثائق والأسانيد، بقدر حرصه على عدم المساس بكرامة الشخصيات التي تتعلق بها هذه الوقائع . وقد جاءنا من اللواء محمد نجيب أنه لم يعلم عن هذه الواقعة في حينها، ولم يتم أي اتصال بشأنها .

ويريد محمد حسنين هيكل أن يؤكد أن ما نشر عن اللواء محمد نجيب في هذه الواقعة لم يقصد به المساس به وبالدور الوطني الذي لعبه في بداية الثورة . والذي يملك التاريخ وحده الحكم عليه .

فواضح من سياق الخبر أن الولايات المتحدة لم تضع هذا الاعتماد تحت تصرف اللواء محمد نجيب ولكنها وضعته تحت تصرف السلطة المصرية تنفيذًا لسياستها حينذاك في محاولة احتواء الثورة المصرية .

وينشر الأهرام هذا الإيضاح دفعًا لأي لبس وتأكيدًا لمعنى يحرص عليه وهو أنه فيما ينشره في وقائع التاريخ المعاصر يتوخى الحقيقة وصدق الاعتماد" .

وقد علق محمد نجيب على هذا البيان فقال : "وواضح من البيان أنه يكذب ولا يكذب . . وصاحبه يلف ويدور كعادته . . وأصررت على أن أذهب إلى محكمة جنايات الجيزة لأحضر المحاكمة بنفسي . . فقال لي المحامي :

ـ هذا لا يجوز . . فيجب ألا تقف أمام قضاة كانوا يصدرون أحكامهم باسمك باعتبارك رئيس جمهورية .

فقلت له : لا . . إن حضوري المحكمة ووقوفي أمام القضاء هو تعبير عن احترامي لهم . ثم إنني أريد أن أخاطب الشعب المصري وأسجل كلمتي للتاريخ في سجلات العدالة المصرية التي حرمت منها سنوات طويلة .

وتنازلت عن الدعوى، ورفضت التعويض الضخم الذي كان يمكن أن أحصل عليه، واعتبرت إدانة هيكل لنفسه أكبر تعويض لي، رغم أنني كما قلت، لا أملك سوى معاشي" .

ووقف محمد نجيب أمام منصة القضاء وقال: "يشرفني بهذه المناسبة أن يثبت في محضر الجلسة أنني أفخر بأنني رجل فقير لا يملك من حطام الدنيا شيئًا فلست أملك مالاً أو عقاراً اللهم إلا بعض جنيهات أتقاضاها كمعاش شهري، ولم أكن طيلة حياتي من الباحثين عن المال أو الحريصين على جمعه، وتشهد ملفات الدولة بأنني عندما وليت أمر هذه الأمة رئيسًا للجمهورية تنازلت عن نصف مرتبي للدولة. أرجو أن تثبت هذه الحقائق للتاريخ تأكيداً لطهارة ذمتي التي قدمتها.. ضابطًا مقاتلاً ما زال جسده يحمل آثار رصاص الأعداء، وقائداً ثائرًا محررًا لبلاده من طغيان كان يجثم فوق صدرها، ورئيسًا شريفًا أمينًا أدى واجبه على أشرف وجه وأكمل صورة" .

وقال محمد نجيب: "كان معاشي في بداية اعتقالي 100 جنيه.. رفع بعد ذلك 200 جنيه.. وأمر الرئيس السادات بزيادته 100 جنيه أخرى.. لكن.. كان أهم من زيادة معاشي الذي لم يكن يكفي مصاريف الحياة والعلاج، قرار الرئيس السادات برفع القيود عني. فبعد أن انتهى عصر الإرهاب، قال لي السادات:

ـ أنت حر طليق!

ولم أصدق نفسي.. هل أستطيع أن أخرج وأدخل بلا حراسة.. هل أستطيع أن أتكلم في التليفون بلا تنصت.. هل أستطيع أن أستقبل الناس بلا رقيب! لم أصدق ذلك بسهولة.. فالسجين في حاجة لبعض الوقت ليتعود على سجنه، وفي حاجة لبعض الوقت ليعود إلى حريته.. وأنا لم أكن سجينًا عاديًا.. كنت سجينًا يحصون أنفاسه. ويتنصتون على كلماته. ويزرعون الميكروفونات والعدسات في حجرة معيشته.. وكنت أخشى أن أقترب من أحد حتى لا يختفي.. وأتحاشى زيارة الأهل والأصدقاء حتى لا يتعكر صفو حياتهم.. وأبتعد عن الأماكن العامة حتى لا يلتف الناس حولي فيذهبوا وراء الشمس. لكن.. بعد فترة.. وبالتدريج.. عدت إلى حريتي.. وعدت إلى الناس.. وعدت إلى الحياة العامة.

ويا ليتني ما عدت . . فالناس جميعًا كان في حلقها مرارة من الهزيمة والاحتلال . . وحديثهم كله شكوى وألم ويأس من طرد المحتل الإسرائيلي . . وبجانب هذه الأحاسيس، كانت هناك أنات ضحايا الثورة . . الذين خرجوا من السجون والمعتقلات . . ضحايا القهر والتلفيق والتعذيب . . وحتى الذين لم يدخلوا السجن ولم يجربوا المعتقلات، ولم يذوقوا التعذيب والهوان كانوا يشعرون بالخوف، ويتحسبون الخطي والكلمات .

وعرفت ساعتها كم كانت جريمة الثورة في حق الإنسان المصري بشعة . . وعرفت ساعتها أي مستنقع ألقينا فيه الشعب المصري . . فقد فقد حريته . . فقد كرامته . . فقد أرضه وتضاعفت متاعبه . . المجاري طفحت . . المياه شحت . . الأزمات اشتعلت . الأخلاق انعدمت . . والإنسان ضاع . . أين الأهداف العظيمة التي نادت بها الثورة؟ !

أين كرامة الإنسان الذي قال له جمال عبد الناصر ارفع رأسك يا أخي . . لقد قمنا بثورة؟ ! فإذا بهم يحولونها إلى عورة!

قمنا من أجل الناس . . فإذا بهم يعملون من أجل أنفسهم .

قمنا من أجل رفع مستوى المعيشة . . فإذا بهم يعملون على خفض مستوى كرامة البشر .

وإذا كان الزمن لا يتوقف والشعوب لا تنتهي والمستقبل لا يعود إلى الوراء، وإذا كان الشعب قد حرر بلاده وأرضه من اليهود، فإنه لا أمل في أن يسترد كل ما فقده، ولا أمل في أن يتقدم، سوى بالديمقراطية . الحرية قبل الخبز أحيانًا . الديمقراطية قبل العدالة الاجتماعية أحيانًا .

وقد دفعت أنا ثمن هذه الكلمة الخالدة (الديمقراطية) ودفع الشعب ثمنها أيضًا . . ولكنني الآن لا أستطيع أن أفعل المزيد . . فقد هدتني الشيخوخة وأقعدتني، وحاصرتني أمراضها، وأصبح علىَّ أن أنتظر لقاء ربي بين لحظة وأخرى . . لكن . . الشعوب التي تعوض شيخوختها بشبابها وماضيها بمستقبلها، تملك الفرصة الذهبية في تغيير واقعها السياسي

والاقتصادي والاجتماعي. ولا يبقى سوى أن أكرر ما أقوله دائمًا وأبدًا.. M . . . ¶ ﴿ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ L (البقرة: 286).

رأي محمد نجيب في بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة:

في هذه الفقرة من الفصل الأخير من مذكرات محمد نجيب نراه قد سجل مشاعره نحو المصير الذي انتهى إليه زملاؤه أعضاء مجلس قيادة الثورة، وهو المجلس الذي ظل يرأسه لفترة تزيد على عشرين شهرًا. ورغم أن بعضهم قد أساء إليه إساءات لا تغتفر، فإن محمد نجيب بما عرف عنه من طيبة وتسامح لم يظهر أية شماتة بهم أو نقمة عليهم، بل على العكس كانت مشاعره نحوهم خليطًا من الشفقة والرثاء خاصة للمصير الأليم الذي انتهى إليه بعضهم، وفيما يلي ندون نص ما سجله محمد نجيب:

- ضاع السودان كما ضاعت الديمقراطية ولكن الصفحة لم تنطو بلا أثر. كان لابد من وجود كبش فداء.. وكان صلاح سالم هو الضحية. عندما سمعت خبر استقالته وأنا في عزلتي لم تأخذني الدهشة.. فلم يكن معقولاً أن يحمل جمال عبد الناصر نفسه مسئولية انفصال السودان عن مصر، وكان اصطياد صلاح سالم من أخطائه واندفاعاته أمرًا ميسورًا.

وتخيلت شريطًا طويلاً لحياة صلاح سالم في مجلس الثورة.. الحيوية الشديدة والجموح العاصف والطموح الشديد. وتذكرت ما قاله عني يوم قدمت استقالتي في شهر فبراير.. لم أشعر بالنقمة عليه؛ لأني أدركت منذ البداية أنه كان يؤدي دورًا رسمه له جمال عبد الناصر، ونظرًا لالتهاب عاطفته فقد اندفع في أداء دوره حتى تجاوز أحيانًا الحدود المرسومة له.

- عندما وصل صلاح سالم إلى المرحلة التي كان يجب التخلص منه فيها لم يكن ذلك صعبًا أو يسيرًا، فلم يعد لأحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة أي صلة بالجماهير. ولم تعد لهم كذلك أي صلة بالجيش بعد أن أصبح في قبضة عبد الحكيم عامر، موضع ثقة واطمئنان جمال عبد الناصر.

تمنيت في وحدتي أن ألتقي بصلاح سالم ليصارحني بما في صدره وقلبه بعد أن انطفأت عنه الأضواء وانزوى في الظل، وكنت واثقًا أن مثل هذا اللقاء كان سيثري كلمتي للتاريخ بمزيد من الحقائق. ولكن القدر اختطف صلاح سالم ومات دون أن أراه. وذهبت لتعزية شقيقه جمال سالم الذي استقال بعده أيضًا، ورفض المشاركة في الوزارة عقب انتهاء فترة الانتقال. وفوجئ جمال سالم بحضوري فقال لي متسائلاً مندهشًا: هل أنت الرئيس محمد نجيب؟

ثم استطرد قائلاً وأنا أعزيه: هل تعزي في صلاح وتعزيني بعد كل الإساءات التي ألحقناها بك؟ فقلت له: الواجب أولاً يا جمال.. فبكى وكان معي ضباط المخابرات الذين كانوا يحرسونني ويخرجون معي إلى كل مكان أذهب إليه بعد أن قضيت ست سنوات كاملة لا أغادر فيها منزل الاعتقال المهجور في ضاحية المرج.

وعندما سقط جمال سالم مريضًا ذهبت لزيارته وهو على فراش الموت مع الحراس أيضًا، فأجهش بالبكاء وقال: سامحني يا نجيب.. فقد دفعنا الشيطان الرجيم ضدك. وماذا أملك لهؤلاء الزملاء اليوم إلا السماح، ولكن القضية ليست هي أن أسامح أو لا أسامح. القضية هي أن يسامح التاريخ أو لا يسامح. ولحق جمال سالم بأخيه صلاح.. مات الاثنان بعيدًا عن مجلس الثورة.. كانت مسبحة المجلس قد انفرطت.

- كمال الدين حسين خرج من مجلس الرئاسة فجأة بعد أن كان يتولى تسعة مناصب مختلفة، ووجد نفسه بلا عمل وهو لم يصل بعد إلى الخمسين. وخرج جمال سالم وصلاح سالم كما

سبق أن ذكرت ثم خرج حسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادي، وزكريا محيي الدين واغتيل عبد الحكيم عامر أو انتحر كما يزعمون. خرجوا جميعًا ليبقى الحاكم الفرد وحده، وهم الذين سبق أن ساندوه في محاولة تركيز السلطة في يده كحاكم مطلق، ولم يدركوا أن الديمقراطية التي دافعت عنها كانت لحمايتهم وحماية آرائهم حتى ولو كانت تختلف مع رأيي. ولكن يبدو أن قدرة العسكريين على استيعاب المعاني السامية للديمقراطية أمر شديد الصعوبة نتيجة لطبيعة حياتهم داخل الجيش حيث تنفذ الأوامر بلا تردد ولا مجال للشورى وتبادل الرأي.

وكل أعضاء المجلس أسهموا بدرجات متفاوته في خلق شخصية الحاكم الفرد الذي تتركز فيه السلطة، وهؤلاء الذين أسهموا في ذلك دارت عليهم الدوائر وخرجوا من دائرة الضوء والسلطة إلى الظل والوحدة. . البعض منهم مستقيلاً والبعض منتحراً. ولست من الشامتين، ولكني أعتقد أنه لا بد أن نخرج من الحقيقة بالخبرة والموعظة. تحويل مصر أكبر الدول العربية وقلبها النابض إلى ضيعة يتحكم فيها واحد، مهما سمت غاياته وعظمت قدراته وتعددت طاقاته، هو أمر لا بد أن ينتهي بكارثة. وعندما تسلب إرادة الإنسان ويصادر رأيه ويحجر على حريته يتحول إلى كيان سلبي لا يقدم لمجتمعه ما يفيد، وإنما يفكر في الهروب والانطلاق، وإذا كان المثل يقول إن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة، فإنه صحيح أيضًا أن مأساة المجتمع تبدأ بصمت الإنسان عن الخطأ ولو كان الخطأ صغيراً. وأعضاء مجلس الثورة لم يصمتوا عن الخطأ فقط، ولكنهم ساندوه أيضًا بل أسهموا فيه. ومع ذلك لم يسمح لهم حكم الفرد بأن يواصلوا السير. . توقفوا عندما شاءت إرادته، وانتهوا عندما صدرت كلمته، وأصبحوا مثلي مطالبين بأن يكتبوا للتاريخ كلمتهم، ولعلهم يفعلون. وكل ضابط في الجيش حاول أن يقول كلمة لا أو يعترض على أسلوب الحكم كان مصيره السجن والتعذيب، وفي مقدمة هؤلاء كان بعض الضباط الأحرار الذين كانت آراؤهم قد اختلفت مع آرائي في أزمة مارس 1954 وكان رأيهم في ذلك الوقت أن الحكم العسكري يجب أن يبقى، وأن الديمقراطية التي أنادى بها ما هي إلا

عودة للوراء، أنهم لا يقبلون هذه الرجعية. لقد عمل عبد الناصر على حل تنظيم الضباط الأحرار، ولم يبق أحد منهم في الجيش أو مراكز السلطة إلا عدد لا يتجاوز أصابع اليد، وكأن عبد الناصر كان يطبق ما كتبه ميكيافيلي في كتابه (الأمير) بأن الحاكم يجب أن يتخلص من الذين ساعدوه في الوصول إلى الحكم، واستبدل بالضباط الذين ساعدوه في أزمة مارس 1954 أتباعًا جددًا يدينون له شخصيًّا فقط بفضل وجودهم، وتبارى الأتباع الجدد في الحصول على رضاه. ولست في ذلك أتحدث عن الشعب مصدر السلطات، فقد قَهره الجيش، وقَهر الجيش مجلس من الضباط (يقصد مجلس قيادة الثورة) وقهر هذا المجلس واحد منهم (يقصد عبدالناصر). والأغلب أنهم يأسفون بعد أن ضاعت فرصة الأسف وضاع الفرد ذاته وانتهت حياته. ولكن التاريخ لا يتوقف، وهرم الضحايا لا بد أن يتحرك".

خطاب مفتوح من المؤلف إلى حسن إبراهيم
عضو مجلس قيادة الثورة السابق

قرأت أخيرًا في مجلة الشباب حوارًا أجراه معك الأستاذ أحمد عبدون أحد محرريها، وقد آلمني، وشاركني في ذلك الكثيرون من الزملاء، حرصك على ترديد تلك العبارة التي تستفز بها مشاعر كل أصحاب الضمائر الحية والنفوس الحرة الأبية، وهي أن الشيء الوحيد الذي لم تندم عليه في حياتك أبدًا هو اعتقالك للرئيس الراحل محمد نجيب، وأنك بعد أن واجهته وقلت له إن مجلس الثورة قرر إعفاءه من منصب رئيس الجمهورية، اصطحبته في سيارتك إلى معتقل المرج حيث قضى فيه حوالي ثلاثين عامًا من نوفمبر 1954 إلى أكتوبر 1983. إنك تعلم جيدًا يا أخ حسن أن في حياتك ـ مثل غيرك من البشر ـ الكثير من الذنوب التي ندمت على ارتكابها أشد الندم. وإذا كان ما ارتكبته في حق رئيسك وقائدك وزميلك في السلاح وفي الثورة محمد نجيب من اعتقالك إياه ثم بقائه هو وأسرته في معتقل المرج ثلاثين عامًا دون ذنب أو جرم، لم يهز ضميرك ولم يجعلك طول حياتك كما صرحت مرارًا تحس بالندم، فترى ما هي الذنوب التي ارتكبتها سواء في شبابك أو في شيخوختك التي يمكن أن تهز ضميرك وتجعلك تشعر

حقيقة بالندم وبحاجتك إلى طلب التوبة والمغفرة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ؟ إن هذه العبارة القاسية التي ترددها في كل أحاديثك لا تدل إلا على الشماتة والحقد وحب الانتقام، وكأنما كان اعتقالك لمحمد نجيب عملاً بطولياً يحق لك التفاخر من أجله أو كأنما كان الرجل مجرمًا أثيمًا أو خائنًا باع وطنه للأعداء، مما جعلك لا تشعر بالراحة والأمان إلا بعد أن أودعته بنفسك وراء أسوار المعتقل. ويهمني أن ألفت نظرك بهذه المناسبة إلى أن دورك في اعتقال محمد نجيب واصطحابك له بسيارتك إلى المعتقل لم يكن بالدور الذي يشرفك كعضو في مجلس قيادة الثورة، إذ لم تكن خلاله سوى الأداة المسخرة لتنفيذ القرار الذي أصدره من كان يملك سلطة إصداره. وكان يمكن أن يقوم بدورك وبنفس الكفاءة أي ضابط حديث الرتبة في البوليس الحربي، وهذا ما دعا زميلك عبد الحكيم عامر إلى أن يأنف من ركوب السيارة التي انطلقت بك مع محمد نجيب إلى معتقل المرج لأن كرامته أبت عليه أن يقوم بدور الحارس أو السجان.

وقد وجدت لزامًا عليَّ نظرًا لتعمدك تكرار أقوالك التي تشوه بها تاريخ محمد نجيب وبسبب تفاخرك الدائم بعمل يتنافى مع كل قواعد الشريعة والقانون والإنسانية أن أرد على بعض ما ورد في حديثك:

- لقد كان من ضمن تعليلك لأسباب الخلاف الذي وقع بين محمد نجيب ومجلس الثورة أن فكره لم يعد متطوراً مع فكر الشباب الذي قام بالثورة، وأن عقليته اختلفت عن عقليتهم لأن فارق السن بينه وبينهم كان كبيراً وكان تفكيره مختلفًا عن تفكيرهم، وردى على ذلك أن الخلاف الفكري بين الأعضاء في أي مجلس أو هيئة هو أمر طبيعي وظاهرة صحية كما يقال، بل هو أمر مطلوب لإظهار كل الخفايا والجوانب المتعلقة بالموضوع الذي يجري بحثه وليس لفارق السن، أي دخل في حدوث الخلاف في الآراء ووجهات النظر، فقد كانت تحدث كما تعلم خلافات حادة في الآراء بين أعضاء مجلس الثورة ومناقشات عصبية حامية كانت تصل أحيانًا إلى حد الصراخ والتراشق بالألفاظ الجارحة رغم أن هؤلاء الأعضاء كانوا في عمر واحد تقريبًا، كما كانت وجهة نظر بعضهم تتفق أحيانًا مع وجهة نظر محمد

نجيب رغم فارق السن بينهما، ولعلك تذكر في هذا الشأن الخلاف الحاد الذي وقع بين عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي مما أجبر البغدادي على تقديم استقالته إلى مجلس الثورة في الجلسة التي عقدها يوم 14 أبريل 1954 ثم اضطراره إلى سحبها خضوعًا لرغبة زملائه، ولعلك تذكر أيضًا كيف كانت وجهة نظر خالد محيي الدين متفقة مع وجهة نظر محمد نجيب فيما يتعلق بوجوب إطلاق الحريات وإقامة حياة ديمقراطية سليمة في مصر.

ولا شك في أن وجود فارق السن بين الرئيس ومعاونيه أمر ضروري لصالح العمل، فإن ذلك من ضمن العوامل المهمة التي تفرض على المرءوسين احترام رئيسهم، كما أنه يعد بمثابة صمام الأمان للحد من اندفاعات الشباب وتهورهم. ولم يكن فارق السن بين أعضاء مجلس الثورة ومحمد نجيب فارقًا كبيراً بحيث يجعل كلا منهم من جيل متباعد عن الآخر كما ذكرت، فقد كان الفارق لا يتجاوز 18 عامًا إذا علمنا أن متوسط أعمار أعضاء المجلس عند قيام الثورة كان 33 عامًا في حين أن عمر محمد نجيب على وجه التحديد كان 51 عامًا، وتلك هي السن التي تمتزج فيها عادة جرأة واندفاع الشباب مع حكمة ورزانة الشيوخ. ولو كان ما ذكرته يا أخ حسن من أن فكر محمد نجيب لم يكن متطوراً مع فكركم صحيحًا، لكان المفترض أن يتحسن حال مجلس قيادة الثورة بعد تنحية محمد نجيب عن رياسته، وبعد أن أصبح أعضاؤه كلهم من عمر واحد ومن جيل واحد، ولكن الواقع الذي جرى أثبت أن العكس كان هو الصحيح، فبينما كان مجلس الثورة أثناء تقلد محمد نجيب رياسته في بداية الثورة مليئًا بالحركة والحيوية والنشاط بسبب حرية المناقشات واختلاف وجهات النظر وتصارع الآراء إذا بحال المجلس يتحول إلى الاستكانة والضعف وسهولة الانقياد بعد تنحية محمد نجيب. وإذا كنت في ريب مما أقول فأرجو منك الرجوع إلى الصفحة 259 من الجزء الأول من مذكرات عبد اللطيف البغدادي لتقرأ جانبًا من الحوار الذي دار بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والبغدادي أثناء عودتهم بالسيارة يوم الأحد 21 أغسطس عام 1955 من الإسكندرية إلى القاهرة أي بعد حوالي عام ونصف من تنحية محمد نجيب عن رياسة مجلس قيادة الثورة، قال البغدادي: "سكت جمال

وتكلم عبد الحكيم قائلاً إن كل واحد في المجلس اشتكى لي من الآخر حتى أخلص الأصدقاء ولم أحاول أن أنقل إلى الآخر الشكوى منه وكنت أحاول أن أهدئ الأحوال باستمرار وأبسطها ولقد ظهرنا في وقت من الأوقات وكأن في المجلس فريقين" .

وسألني جمال عبد الناصر عن رأيي في مجلس قيادة الثورة وهل أرى استمراره أو عدم استمراره بعد انتهاء فترة الانتقال؟ أجبته : "إن المجلس كمجلس له هيبته واحترامه عند الرأي العام . أما بالنسبة لأعضائه فقد أصبح الجزء الأكبر منهم لا يبذل جهدًا ذهنيًا في التفكير في المسائل التي تعرض عليهم وإنما ينتظرون رأي جمال عبد الناصر ليوافقوا عليه أو يرددوه ووافقني جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر على هذا الرأي . ولكن عبد الحكيم سألني عن السبب فيما وصلوا إليه فأجبته : إنه في بداية الثورة كان هناك تطاحن في الآراء بين أعضاء المجلس، كل منهم يحاول إبراز وجهة نظره وشرح رأيه في الموضوع المعروض على المجلس . ولذلك كانت هناك نقاط كثيرة تثار، وكنا نخرج في النهاية بحلول جيدة للمشاكل أو المسائل المعروضة عليه، ولكن مع مرور الوقت أصبح البعض من أعضاء المجلس يتأثرون برأي جمال عبد الناصر، وأصبحت الأغلبية في جانبه بصورة دائمة تقريبًا . وذلك دفع البعض الآخر من الأعضاء إلى أن يكتفي بإبداء رأيه دون محاولة الدفاع عنه بنفس القوة والحماسة التي كان يدافع بها من قبل لعلمه وتأكده أن الأغلبية ستكون في جانب جمال عبد الناصر مهما حاول في إبراز وجاهة فكرته وصوابها لأن النتيجة معروفة له مسبقًا مهما بذل من جهد" .

إن هذا الحوار الذي سجله البغدادي في مذكراته يثبت لك يا أخ حسن أن أزمتي فبراير ومارس 1954 لم تكونا نزاعًا بين عقليتين متنافرتين ولا خلافًا في وجهات النظر بين جيلين مختلفين ولا صراعًا بالآراء والأفكار بين شيخوخة جامدة وشباب متطور طموح، وإنما كانتا في حقيقة الأمر صراعًا طاحنًا على السلطة بين محمد نجيب وعبد الناصر، وليس أدل على ذلك من أن الضباط الأحرار في سلاح الفرسان وكلهم من الشباب المتوثب وأغلبهم من رتبتي النقيب والملازم كانوا جميعًا في صف محمد نجيب . وعندما انتهى الصراع بانتصار عبد الناصر وإحرازه

جميع السلطات في يده تحول مجلس الثورة من أعلى سلطة في البلاد إلى مجلس تابع يخضع لإرادة عبد الناصر ورأيه ـ كما وضح من أقوال البغدادي نفسه ـ وبهذا أصبح من السهل على عبد الناصر تصفية كل من يريد التخلص منه من أعضائه، وانتهى الأمر بحل المجلس نهائيًا بمجرد انتهاء فترة الانتقال.

- ذكرت في حديثك أن من ضمن خلافكم مع محمد نجيب أنه كانت له بعض الاتصالات غير المرضى عنها ببعض الهيئات السياسية التي كانت موجودة وقتئذ، فقد دخل في حلول وسط مع حزب الوفد وجماعة الإخوان المسلمين مما كان سيؤدي لو استمر معكم إلى خلافات ومعارك مستمرة طويلة لن يستفيد منها إلا أعداء الثورة.

إن تبريرك يا أخ حسن تنحية محمد نجيب واعتقاله وبقاءه لمدة ثلاثين عامًا في المعتقل بمثل هذه الحجة أمر يدعو إلى الدهشة بلا شك، لأنه على فرض حدوثه لم يكن يمثل سوى وجهة نظر سياسية كانت ترى أن من مصلحة الثورة احتواء هذه العناصر التي كانت لها شعبيتها وقتئذ بعد أن انتقلت من مرحلة التأييد في بداية الثورة إلى مرحلة المعارضة بسبب الخلاف على أسلوب الحكم. وكان هذا الخلاف ـ حسبما قدر محمد نجيب ـ من المتيسر إزالته عن طريق التفاهم والحلول الوسط ضمانًا لتوحيد الشعب كله تحت لواء الثورة في معركتها الطاحنة مع قوات الاحتلال البريطاني التي كانت تتجاوز 80 ألف مقاتل، والتي كانت تحتل منطقة قناة السويس ولم تكن تبعد عن العاصمة المصرية إلا حوالي مائة كيلومتر، وبذا يمكن إرغام بريطانيا على قبول مطالب مصر بالجلاء خاصة بعد أن ظهر بوضوح خلال المحادثات المصرية ـ البريطانية بشأن الجلاء إصرار بريطانيا على الاحتفاظ بقاعدتها العسكرية الضخمة في منطقة القناة، وعلى إدخال مصر في دائرة الأحلاف الأجنبية، مما أدى إلى قطع هذه المحادثات، وإذا كانت لأعضاء مجلس الثورة وقتئذ وجهة نظر أخرى فإن هذا الخلاف لا يعدو أن يكون خلافًا سياسيًا ولا يعد بحال من الأحوال جريمة يعاقب عليها محمد نجيب، خاصة أن الفئات السياسية التي اتهم بالاتصال بها

والدخول في حلول وسط معها هي فئات مصرية وطنية وليست فئات أجنبية أو إسرائيلية معادية للوطن، وإذا كان الخلاف بين هذين الرأيين قد وصل إلى مرحلة يستحيل معها التفاهم بين الطرفين، فقد كان في الإمكان ترك محمد نجيب ينسحب من الحكم بهدوء كما جرى الحال مع معظم أعضاء مجلس الثورة فيما بعد، خاصة أن الرجل بعد أزمة مارس 1954 أصبح يشغل منصبًا شرفيًا لا حول له ولا قوة ولا دخل له بشئون الحكم وهو منصب رئيس الجمهورية بلا أية سلطات، والدليل على ذلك قبوله قرار تنحيته عن منصبه دون أي اعتراض أو مقاومة وانقياده لك يا أخ حسن دون أن ينطق بكلمة واحدة طول الطريق كي تتولى وضعه بنفسك في معتقل المرج. . وإذا افترضنا أنه كانت له خطورة تخشون منها على مراكزكم في عام 1954 بسبب شعبيته، فهل استمرت هذه الخطورة ثلاثين عامًا كاملة؟

- لقد كان من ضمن أقوالك يا أخ حسن في حديثك الأخير ما يدل على مدى احترامك وتقديرك للرأي الآخر، فقد قلت مثلاً يجب أن يحترم كل واحد منا وجهة نظر الآخر وألا يحاول فرضها عليه وإرغامه على تقبلها، وقلت في موضع آخر: إن انفصال بعضنا عن القيادة بسبب الخلاف في الرأي شيء صحي لأنه لابد من وجود الرأي الآخر، وحينما تصل الأمور إلى درجة استحالة التفاهم كان كل منا ينسحب بهدوء ثم قلت أيضًا: إن الانقسامات موجودة في كل الثورات وثورة 1919 انقسمت على نفسها وحزب الوفد أيضًا انقسم على نفسه، وذلك أن الآراء تختلف وتتعارض وتتطور، وباختلاف الآراء نجد أن صاحب الرأي الأكثر تأييدًا من الآخرين هو الذي يستمر والأضعف هو الذي ينسحب، وهذا هو ما حدث بالنسبة لنا وحين خرجنا من السلطة خرجنا بهدوء ولم نعمل ضد الثورة.

وما دامت هذه آراءك يا أخ حسن فلماذا تتخذ هذا الموقف العدائي من محمد نجيب والبعيد عن العدل والإنصاف والذي يتناقض كلية مع آرائك التي ذكرتها؟! إنكم عندما اختلفتم مع عبد الناصر تركتكم تخرجون من السلطة بهدوء فضلاً عن تكريمه لكم بأن تظلوا

وأسركم تتمتعون بكل الامتيازات التي كنتم تحرزونها أثناء وجودكم في السلطة، أما محمد نجيب الذي لم يفعل أكثر مما فعلتم حينما اختلفتم مع عبد الناصر فقد عومل معاملة شاذة لا تتفق مع أي شريعة أو قانون، فقد خرج من مكتبه بقصر الرئاسة بعابدين رأسًا إلى معتقل المرج دون أن يسمح له حتى بالمرور على منزله، وتم تجريده هو وأسرته من جميع امتيازاتهم ما عدا معاشه البسيط الذي ظل يتقاضاه ليعيش مع أسرته عيشة أقل من المتواضعة. وإني أسألك يا أخ حسن ماذا يكون شعورك بعد أن اختلفت مع عبد الناصر إذا وجدت نفسك مع أسرتك في معتقل مثل معتقل المرج ثم يحكم عليكم بالبقاء داخله ثلاثين عامًا؟ وما هو شعورك إذا قرأت بعد ذلك أن أحد الثوار من زملائك يتفاخر بأنه اعتقلك ويقول إن الشيء الوحيد الذي لم يندم عليه في حياته هو اعتقاله لك؟

إنك تشيد بالمعاملة الإنسانية التي لقيتها من الرئيس الراحل عبد الناصر عندما مرضت زوجتك وكيف وافق مشكوراً على علاجها على نفقة الدولة، وكيف كان كريمًا عندما طلب من زوجته أن تدعو لها بالشفاء، فلماذا تضن على محمد نجيب أن يعامل هو الآخر معاملة إنسانية؟ ترى هل من الإنسانية بقاؤه هو وأسرته ثلاثين عامًا داخل معتقل المرج بسبب خلافات سياسية وألا يخرج من المعتقل إلا شبحًا محطمًا وشيخًا فانيًا؟ وهل من الإنسانية أن يحرم من استقبال جثمان ابنه عند وصوله إلى المطار بعد مصرعه في حادث غامض في ألمانيا الاتحادية، وأن يمنع من كتابة نعيه في الصحف أو تشييع جثمانه في جنازة، وأن يمنع من لقائه على باب المدفن وهو يوارى التراب بينما هذا الحق مسموح به للمجرمين المحكوم عليهم بالسجن عند وفاة أحد أقاربهم المقربين؟

- لقد أبيت يا أخ حسن الاعتراف بأن بيت السيدة زينب الوكيل في المرج الذي قضى فيه محمد نجيب وأسرته ثلاثين عامًا كان معتقلاً، وذكرت ما يوحى بأنه كان ـ كما تركته مالكته ـ فيلا فاخرة مليئة بأفخم أنواع الأثاث والتحف ووسائل الترفيه والعيش اللائق الكريم، رغم أنك تعلم أن الحراس قاموا بنهب كل محتوياتها الثمينة ونزعوا حتى الستائر والرخام

والقيشاني وتركوا الفيلا أطلالاً خاوية وإلا ما فكر محمد نجيب في إحضار أثاثه المتواضع من داره بحلمية الزيتون الذي تعرض أيضًا للنهب كما سجل في مذكراته.

وقد أكدت يا أخ حسن أن مجرد ظهور حبل غسيل في الفيلا في بعض الصور التي نشرت بالخارج لا يعد دليلاً على أن الفيلا كانت معتقلاً. وإني أسألك ماذا كان يعني وجود حبل غسيل داخل غرفة نوم محمد نجيب وقد علقت عليه شماعات تحمل بدله وبعض ملابسه؟ هل هو نوع من الديكور الحديث الذي لم يصل إلى علمنا بعد أم هو الدلالة الأكيدة على تجرد الغرفة من أي أثاث لائق حتى من دولاب للملابس؟ وإذا كنت في ريب من ذلك فيمكنك سؤال بعض أقارب ومعارف محمد نجيب الذين قاموا بزيارته بعد أن سمح لهم بذلك كي يخبروك عن الحياة التعسة البائسة التي كان يعيشها أول رئيس لجمهورية مصر الذي لم يجد الوفاء إلا لدى القطط والكلاب التي كانت تعيش في كنفه بعد أن فقد الوفاء لدى البشر. إنك لم تفكر يا أخ حسن وأنت الذي تهت سروراً وافتخاراً بأنك أودعت محمد نجيب بنفسك داخل المعتقل، أن تزوره في معتقله طوال هذه السنوات ولو مرة واحدة لتطمئن على أحواله وتستفسر منه عن متاعبه وشكواه ولتتأكد أنه يعامل من حراسه معاملة إنسانية، وهو الذي كان في يوم من الأيام قائدك ورئيسك، كما لم يزره مطلقًا أي مسئول أو واحد من زملائه السابقين من أعضاء مجلس قيادة الثورة بدافع الوفاء وليطمئن على أنه يعيش عيشة لائقة، رغم أن المسئولين عن السجون سواء في مصر أو في كل بلاد العالم المتحضر يقومون بزيارة السجون من حين لآخر للتأكد من أن المساجين يعاملون معاملة إنسانية بصرف النظر عن أن بعضهم من عتاة القتلة والمجرمين.

لقد عاش محمد نجيب ومات فقيرًا معدمًا رغم كل المناصب الكبرى التي تولاها، والتي كانت تكفل له لو أراد ولأسرته من بعده الثراء والترف والجاه في الوقت الذي تعلم فيه جيدًا يا أخ حسن كيف استغل البعض مراكزهم للحصول على الأسهم والقروض (بدون فوائد) للوصول بسرعة البرق وبدون جهد أو عناء إلى الثراء الطائل من أقصر طريق ومهما كانت

الوسيلة .

وفي الختام أسوق إليك الرجاء يا أخ حسن أن تترفق بمحمد نجيب الذي ظلمتموه حيًّا وميتًا وأن تترحم على ذكراه وأن تتذكر قوله ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة الزمر M إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ L (الزمر : 30ـ31) صدق الله العظيم .

رواية فرنسية كاذبة عن تجنيد محمد نجيب:

نشرت مجلة (ليفنمان دي جودي) الفرنسية في عددها الأسبوعي خلال شهر أكتور 1996 في ذكرى مضي أربعين عامًا على العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 أن جي موليه رئيس وزراء فرنسا في ذلك الوقت نجح في تجنيد رئيس مصر الأسبق اللواء محمد نجيب بواشطة اثنين من أعضاء مكتبه بثمن باهظ ليكون بديلاً للرئيس جمال عبد الناصر .

كما نقلت مجلة (لوبوان) عن مؤرخة فرنسية أن الاستخبارات الإسرائيلية سعت إلى إرسال موفدين اثنين من جي موليه للقاء محمد نجيب على الحدود السودانية المصرية قبل ساعات من الهجوم على مصر وعرض تولي السلطة عليه، غير أن الفكرة فشلت لأن نجيب كان يرغب في التأكد من موقف البريطانيين .

وبادرت بعض وسائل الإعلام المصرية والعربية بسؤالي عن رأيي فيما نشرته المجلتان الفرنسيتان، وقد ورد في الصفحة السادسة من صحيفة الحياة اللندنية بتاريخ 21 أكتوبر 1996 ردي على ذلك الادعاء الكاذب بما يلي بالنص :

" يؤكد مرخ ثورة 23 يوليو 1952 اللواء متقاعد الخبير العسكري جمال حماد أن الحقائق التاريخية تدحض ما أثير عن الاتصال الفرنسي مع الرئيس محمد نجيب خلال تلك الفترة بعد نجاح عبد الناصر في السيطرة على مقاليد البلاد وصدور قرار مجلس قيادة الثورة في 14 تشرين

الثاني (نوفمبر) 1954 بتنحية محمد نجيب عن منصبه، وتم نقله بعد صدور القرار بلحظات تحت حراسة عسكرية من مكتبه في قصر عابدين إلى بيت ريفي في ضاحية المرج.

وقد أمضى محمد نجيب في معتقل المرج قرابة 16 عامًا تحت الحراسة المشددة، مما يؤكد استحالة أي اتصال به، وأعرب جمال حماد عن استغرابه مما أعلن عن اتصالات مع محمد نجيب عشية الهجوم الثلاثي وقال: محمد نجيب كان في معتقل المرج في هذا الوقت ولم يغادره أو يلتقي به أحد، ومع أول طلقة في العدوان تم نقله تحت حراسة مشددة في ديوان مغلق بالقطار إلى استراحة تابعة للري المصري في مدينة نجع حمادي بمحافظة قنا (جنوب مصر) ولم يمكث سوى يومين سيق بعدها إلى بلدة طما في محافظة سوهاج، وتم إيداعه في بيت ريفي صغير أمضى فيه شهرين كاملين في غرفة صغيرة وشاركه في الغرفة ثلاثة أفراد من قوة الحراسة، ولم يكن مقر إقامته معروفًا حتى لأجهزة الأمن المصرية مشيرًا إلى أن خطة تحريك محمد نجيب نفذها قائد الشرطة العسكرية آنذاك المقدم أحمد أنور.

ولفت النظر إلى التعارض بين معلومات مجلتي (لفينمان ولوبوان) وقال: أشارت الأولى إلى نجاح جي موليه في تجنيد محمد نجيب بثمن باهظ، بينما تتحدث الثانية عن شروط وضعها نجيب لإتمام الصفقة التي لم تنجز، وشدد جمال حماد على أن محمد نجيب مات فقيرًا لا يملك سوى معاشه فيما عانى أبناؤه وأحفاده شظف العيش من بعده".

ووفقًا لما قاله المؤرخ المعروف الدكتور يونان لبيب فإن النظام الوثائقي العام في فرنسا يحدد إعلان الوثائق بعد مرور 30 عامًا عليها ويقول: "إذا كانت هذه المعلومات تستند إلى وثيقة جديدة ينبغي التساؤل عن مغزى عدم الإعلان عنها من قبل رغم أن فترة الحظر انتهت منذ عشر سنوات" وحذر من أن يكون هناك من يسعى إلى إساءة سمعة فرنسا لدى الرأي العام المصري، مشيرًا إلى أن هذا الكلام يخدم مصلحة الرافضين لدور أوربي وفرنسي متميز في منطقة الشرق الأوسط؛ لأن هذه المعلومات تظهر فرنسا في صورة الدولة المتآمرة على الشعب المصري وتهين تاريخ أحد القادة المصريين الوطنيين.

وفي يوم 26 أكتوبر 1996 نشرت جريدة أخبار اليوم المصرية في صفحتها الأولى إجابتي على سؤالها لي عن رأيي فيما نشرته المجلتان الفرنسيتان فقالت بالنص :

" نفى المؤرخ العسكري المعروف اللواء جمال حماد الوقائع التي نشرتها بعض الصحف الفرنسية حول قيام جي موليه رئيس وزراء فرنسا أثناء العدوان الثلاثي عام 1956 بتجنيد اللواء محمد نجيب ليعود لحكم مصر بعد خلع عبد الناصر ، وقد تم ذلك في حديث أذاعته محطة تليفزيون ART أمس وأجراه معه الأستاذ حمدي قنديل ، فقد قال حماد : إن هناك ثلاثة أسباب تجعل هذه المزاعم بعيدة عن التصديق :

السبب الأول : أن نجيب كان منذ تنحيته عام 1954 تحت الإقامة الجبرية في فيلا زينب الوكيل في المرج حيث ظل معتقلاً بها لمدة 16 سنة ، وعندما حدث العدوان الثلاثي في نوفمبر 1956 نقل تحت الحراسة المشددة إلى نجع حمادي ثم إلى بلدة طما في محافظة سوهاج ، حيث أمضى شهرين كاملين في بيت ريفي وبعد انتهاء العدوان الثلاثي عاد إلى مركز إقامته في المرج .

السبب الثاني : أن وطنية محمد نجيب لا يمكن أن تكون محل شك ، ولو كان يريد السلطة لتشبث بها في أزمة مارس 1954 ولكنه رفض ذلك حقنًا للدماء ، كما أن تاريخه الوطني بدءًا من استقالته احتجاجًا على حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين وحتى إصابته ثلاث مرات في حرب فلسطين عام 1948 هو الذي جعلت الضباط الأحرار يختارونه لتعلن باسمه ثورة 23 يوليو 1952 .

السبب الثالث : أن محمد نجيب ليس الرجل الذي يشترى بالمال ، ثم أين هذا الثمن الباهظ الذي قالت المجلة الفرنسية إنه تم شراؤه به وقد عاش ومات وهو لا يملك إلا معاشه وبقيت عائلته في حياته ومن بعده تعاني من شظف العيش؟!

استجاب المشير لطلبي نظرًا لظروفي العائلة وتكريمًا لاستشهاد صهري الملازم حسن حسين أمين في معركة الصابحة عام 1955 ، فتم تعييني بالجمعية التعاونية للبترول عام 1957 وبقيت في الخدمة بها حتى خروجي للمعاش عام 1981 .

رسائل القراء عن مأساة الرئيس الراحل محمد نجيب

1. رسالة من الضابط السابق سمير غانم:

تلقينا رسالة مطولة من الأخ سمير غانم أحد الضباط الأحرار وقائد المقاومة السرية في بورسعيد أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وكان أهم ما تضمنته ما يلي:

الأخ جمال حماد....

1. إنني في أشد الذهول من هول ما قرأته عما عومل به محمد نجيب أثناء العدوان الثلاثي، ووجدت نفسي أقول أين الانضباط العسكري الذي تعلمنا وأين احترام الرتبة الأكبر واحترام الأقدمية؟ أين الرحمة والإنسانية وأين النخوة والرجولة في معاملة إنسان مسن وأعزل؟ وكيف يرضى إنسان لنفسه أن يكون أداة في يد الغير كي يرتكب أفظع الجرائم؟!!

2. أي تفكير سقيم أوحى بفكرة أن الإنجليز سينصبون اللواء محمد نجيب الوطني المخلص حاكمًا على مصر في حالة احتلالها لو نجح العدوان الثلاثي؟ إن التفكير المنطقي يقول إنهم كانوا سيختارون أحد أصدقائهم أو صنائعهم القدماء أثناء فترة الاحتلال البغيض، وكان الملك السابق فاروق هو بلا شك أفضل المرشحين للقيام بهذا الدور، وهذا هو ما سمعناه بالفعل في هذا الوقت.

3. لم أكن أتصور وأنا متوجه إلى بور سعيد لتولي قيادة المقاومة السرية ضد الغزاة متطوعًا بكل الحماسة دفاعًا عن وطني أن هناك ضباطًا مصريين بدل أن يتوجهوا لمقاومة العدوان وقتال الإنجليز توجهوا للأسف للعدوان على قائد مصري شجاع وشريف وأعزل، وهو الذي تحمل مسئولية الثورة في أخطر مراحلها، وهي الثورة التي أصبحوا في ظلها شخصيات لها كيان ومركز. إنني أتساءل ما هي جدوى قتل محمد نجيب في حالة دخول الإنجليز مصر؟ هل قتله كان سيمنع الإنجليز من إعادة احتلال مصر أو أن الهدف كان مجرد اغتياله والتخلص منه تصفية لحسابات قديمة؟

4. لم أكن أتصور عندما خرجت ليلة 23 يوليو 1952 حاملاً سلاحي مع إخواني الضباط الأحرار الوطنيين الشرفاء لإنقاذ وطننا من الظلم والطغيان أن تتطور الأمور بعد نجاح الثورة فيقع الظلم والهوان على القائد الشجاع الذي أعلنت الثورة باسمه. ماذا نفعل وقد كتب على ثورة 23 يوليو أن تتحمل أخطاء وجرائم فئة ضالة شريرة شوهت صورة الثورة وأساءوا إليها أكثر من ألد أعدائها؟!

5. إنني لا أجد أي مبرر أو عذر لأي إنسان كي ينفذ أوامر الإذلال والتعذيب وإهدار الآدمية بحجة أنه عبد المأمور، وأنه لا يستطيع مخالفة الأوامر. إن أي إنسان يحترم نفسه يمكنه أن يرفض أن يكون أداة للتعذيب والإهانة أو الاغتيال ولو أدى الأمر لأن يسجن أو يعذب أو يفصل من الخدمة، فإن الأرزاق على الله، وإذا نجا من حساب رئيسه فكيف ينجو من حساب الله في الدنيا وفي الآخرة؟!!

إن التاريخ لن يرحم أولئك الذين باعوا أنفسهم للشيطان واعترفوا دون حياء أو خجل أنهم دبروا مع بعض الجبناء من شركائهم جريمة منكرة، وهي قتل أول رئيس لجمهورية مصر، ولن يكون لهم جميعًا مكان سوى في مزبلة التاريخ. إن يوم الحساب أمام الله آت لا ريب فيه، ولن يشفع لهم قولهم: Z Y X W V U T S R . . . M

[\ ] ^ _ ` a L صدق الله العظيم (الأحزاب: 67، 68).

2. رسالة من السفير رياض سامي:

تلقينا رسالة مطولة من الأخ رياض سامي السفير السابق بوزارة الخارجية والذي كان في بداية الثورة نقيبًا بالقوات المسلحة، ومن اقرب الضباط إلى الرئيس الراحل محمد نجيب بحكم منصبه كسكرتير صحفي لرئيس الجمهورية، وقد تضمنت رسالته طائفة من المعلومات المهمة عن بعض أحداث الصراع على السلطة في أزمة مارس 1954، وفيما يلي أهم ما ورد بها:

الأخ جمال حماد....

لقد قبل محمد نجيب دون أي تردد قيادة ثورة 23 يوليو 1952 عن اقتناع وإيمان، في الوقت الذي تراجع قبله اثنان عن هذه المغامرة المحفوفة بالأخطار وهما الفريق عزيز المصري واللواء أحمد فؤاد صادق، وما دام الجميع متفقين على أن الاثنين كانا من القادة الشجعان فلا جدال إذن أن محمد نجيب كان أشجع الشجعان.

إنني منذ توليت أمر مكتب الصحافة بمجلس قيادة الثورة، حضرت كل اللقاءات والمؤتمرات الصحفية التي كانت تعقد بالمجلس والتي كان يتحدث فيها الرئيس الراحل محمد نجيب وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة خاصة البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ صلاح سالم. وكنت أستمع وأدون وأستشف ما وراء العبارات التي تقال في هذه اللقاءات من نوايا خفية وخطط للمستقبل. ولهذا لم أفاجأ بما أطلق عليه أزمة مارس 1954؛ فقد كان واضحًا أمامي أن محمد نجيب كان هدفه إطلاق الحريات للشعب وإقامة الحياة الديمقراطية، بينما كان هدف عبد الناصر ومن ورائه مجلس الثورة هو استمرار الحكم الفردي المطلق؛ ولذا لم يكن هناك مفر من وقوع الصدام الذي جرى.

وفي ضحى يوم 29 مارس 1954 اتصل بي هاتفيًا الدكتور حسني خليفة مدير وكالة أنباء مصر وأبلغني أن مشادة عنيفة قد حدثت وصداماً مفزعًا قد جرى في مطار ألماظة الحربي بين الرئيس محمد نجيب وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد صعود الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية الذي كان في زيارة رسمية لمصر إلى الطائرة ومغادرتها للمطار، وأن محمد نجيب وجه إلى أعضاء مجلس الثورة عبارات قاسية وقال لهم ما معناه أنهم سيلحقون الخراب بالبلاد.

ركبت سيارة جيب وانطلقت مسرعًا إلى المطار، وفي غرفة جانبية بمبنى الإدارة وجدت محمد نجيب راقدًا على سرير وقد جلس حوله معظم أعضاء مجلس الثورة، ولما رآني اعتدل في جلسته، وكم كنت أتمنى أن يرى المصريون جميعًا المنظر المؤثر الذي رأيته في هيئة محمد نجيب وقتئذ أسدًا مهيض الجناح، فقد كان خالعًا سترته العسكرية وظهرت فانلته الداخلية البيضاء،

بينما كان وجهه شديد الشحوب والاصفرار وقد بدت في معالمه بوضوح شدة التعب والإرهاق. ولما تقدمت نحوه قائلاً: سلامتك يا أفندم سارع بمد يده لي مصافحًا بينما رفع يده الأخرى قريبًا من فمه كإشارة لتحذيري من الكلام. ومن وطأة الخوف والقلق على محمد نجيب تمت إعادته إلى منزله بحلمية الزيتون من خلال شوارع فرعية غير مطروقة حتى لا يرى الشعب رئيسه الذي كان شديد التعلق به في هذه الحالة الأليمة!!

ورغم مرض محمد نجيب وحضور عدد من كبار الأطباء إلى منزله لعلاجه وعدم قدرته على الحركة، فقد أصر أعضاء مجلس الثورة على ضرورة اجتماع المؤتمر المشترك في منزل محمد نجيب حتى يظهر أمام الشعب أنه مشترك معهم ومؤيد لهم في القرار الذي اتخذوه أثناء الاجتماع والذي أذاعه صلاح سالم بعد ظهر نفس اليوم، وهو إرجاء تنفيذ قرارات 5 و25مارس 1954 وهو التاريخ الواقعي من وجهة نظري لانتهاء قيادة محمد نجيب للثورة، كما كان يوم 5 يونيو 1967 بعد مرور 13 عامًا على هذه الأحداث ـ هو التاريخ الواقعي لوفاة عبد الناصر من وجهة نظر بعض زملائه من أعضاء مجلس الثورة.

لقد أثار شجوني ودفعني إلى الكتابة إليكم ما قرأته عن تعرض الرئيس الراحل محمد نجيب للاغتيال في بلدة طما بمحافظة سوهاج أثناء العدوان الثلاثي عام 1956. وإذا كان الرائد السابق جمال القاضي يتفاخر باشتراكه في هذه المؤامرة البشعة مع ثلاثة من الضباط الأحرار وبعض ضباط البوليس الحربي الذين سجل أسماءهم في اعترافاته بالعدد 1760 من مجلة صباح الخير الصادر في 28 سبتمبر 1989، فينبغي أن يعرف هؤلاء جميعًا أنهم إذا كانوا قد أفلتوا من الوقوف أمام محكمة الجنايات كي ينالوا العقاب الذي يستحقونه على جريمتهم نظرًا لمضي المدة، فليس في إمكانهم البتة الإفلات من محكمة التاريخ!

لقد أتيحت لي الفرصة كي استمع بنفسي للرئيس الراحل محمد نجيب وهو يروي لي ولبعض أقاربه وأصدقائه واقعة إبعاده إلى الصعيد خلال العدوان الثلاثي عام 1956 واعتقاله في ذلك البيت الريفي الذي يملكه أحد أصهار أحمد أنور قائد البوليس الحربي في بلدة طما. وكان

يغالب دموعه وهو يروي لنا الإساءات التي لحقت به هناك من بعض ضباط البوليس الحربي إلى حد الاعتداء عليه بالضرب.

وقد بلغ بنا التأثر مداه حينما استمعنا إلى هذه الوقائع المشينة، ووجدت نفسي أقول لـه في انفعال: سيادة الرئيس لا ينبغي أن تتألم من هذه الأفعال لأن من ارتكبها هـو إنـسان مجـرد مـن الشجاعة والشرف؛ لأن الفارس الأصيل لا يطعـن خـصمه الأعـزل؛ فمـا بالـك وقـد كنـت رئيسهم وقائدهم؟! وإذا كانت يدهم قد امتدت إليك فثـق أنهـم مجـرد أجـراء وأنهـم قبـضوا بيدهم الأخرى ثمن فعلتهم الخسيسة.

3. رسالة من اللواء جمال صابر نائب مدير سلاح الحدود سابقًا:

الأخ جمال حماد....

مصداقًا لما ورد في مقالاتكم عن سوء المعاملة التي لقيها هذا القائـد العظـيم فـإنني سـوف أصف لكم البيت الذي يعيش فيه بالمرج لا نقلاً عن أقوال آخرين ولكن نتيجة لزيارة قمـت بهـا بنفسي مع أحد الأصدقاء لقائدي السابق وفاء مني له، وكان ذلك في شـهر رمـضان المعظـم في عام 1975.

لقد هالتني فور دخولي الحالة السيئة الـتي كـان عليهـا البيـت سـواء مـن الخـارج أو مـن الداخل؛ فإن الحديقة الخارجية كانت مهملة تمامًا وكانت عبـارة عـن أحـراش قـذرة وأشـواك وحشية ومليئة بالثعابين والزواحف بحيث لا يجرؤ أحد على المرور داخلها خوفًـا علـى حياتـه. ومن الداخل كان البيت مكونًا من طابقين، وقد وجـدت أن الطـابق الأول خـال تمامًـا مـن أي أثاث وكان في شدة القذارة والإهمال، أما الطابق الثاني فلم يكن أحسن حالاً. وعندما دخلت غرفة نوم الرئيس الراحل محمد نجيب أصابني الغم؛ إذ لم أتصور قط أن رئيسًا سابقًا لجمهورية مصر يعيش في هذه الحالة المزرية.

لقد رأيت محمد نجيب في تلك الزيارة راقدًا على سرير قديم متهالك، والغرفة تكـاد تخلـو

من الأثاث حتى إنني وصديقي وجدنا صعوبة في العثور على مقعدين لكي نجلس عليهما، وكانت الكتب مبعثرة على الأرض في كل أرجاء الغرفة، بينما امتد حبل غسيل بعرض الغرفة وكانت تتدلى منه شماعات تحمل بعض الملابس، وقد مكثت أنا وصديقي نصف ساعة كانت بالنسبة لي من أصعب الأوقات التي مرت عليّ في حياتي؛ لأنني لم أكن أتخيل أن تكون هذه هي نهاية البطل محمد نجيب، وأن يكون هذا هو تقدير الوطن له وهو الرجل الذي أعلنت ثورة 23 يوليو باسمه، وانضمت كل وحدات الجيش للثورة على الفور بمجرد أن عرف الضباط والجنود أن قائدها هو محمد نجيب؛ لما كان يتمتع به من شعبية ومكانة سواء داخل الجيش أو بين المدنيين، خاصة بعد انتخابات نادي الضباط وفوزه برياسة النادي رغم إرادة الملك السابق فاروق.

وتذكرت كيف شاهدت محمد نجيب في حرب فلسطين عام 1948 قائدًا شجاعًا يقاتل العدو على رأس جنوده، وخطر في ذهني ذلك الموقف الذي لا أنساه مطلقًا حينما احتل الإسرائيليون موقع التبة 86 بجوار دير البلح ليلة 23/ 24 ديسمبر 1948، وكنت قائدًا لإحدى سرايا الكتيبة العاشرة مشاة التي حدث فيها اختراق العدو، وتذكرت كيف أصبت برصاصة في كتفي أثناء المعركة واضطررت للعودة إلى الخلف للعلاج حوالي الساعة الثامنة صباح يوم 24 ديسمبر وتذكرت كيف وجدت العميد أ.ح محمد نجيب قائد اللواء الضارب وهو ملقى وحده على الأرض بجوار سور من التين الشوكي في موضع لا يبعد عن مواقع الإسرائيليين أكثر من مائة متر وبجوار موقع أكثر الجنود المصريين تقدمًا في اتجاه العدو. وكان مصابًا برصاصة وقد ظهر ثقبها في المعطف الذي كان يرتديه في مكان القلب تمامًا وكان في حالة احتضار. وسارعت رغم إصابتي بحمله بمعاونة بعض الجنود إلى سيارة جيب نقلتنا إلى مستشفى رفح وتم إدخاله فور وصوله إلى خيمة الأكسجين نظرًا لخطورة حالته، وقرر الأطباء وقتئذ أن إصابته مميتة وأن نجاته من الموت مستحيلة، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خيب ظنهم ونجا محمد نجيب من الموت بمعجزة إلهية بعد أن أمضى حوالي شهر ونصف في العلاج بالمستشفيات.

وكان هذا هو الجرح الثالث له في ميدان القتال؛ ولذا حاز نجمة فؤاد وهي أعلى وسام

عسكري في ذلك الوقت مرتين تقديراً لبطولته. رحم الله محمد نجيب فقد كان قدوة لضباطه وجنوده في الشجاعة والشرف، وكان مثالاً يحتذى به في النزاهة والتقشف وإنكار الذات.

* * * * *

obeikandl.com